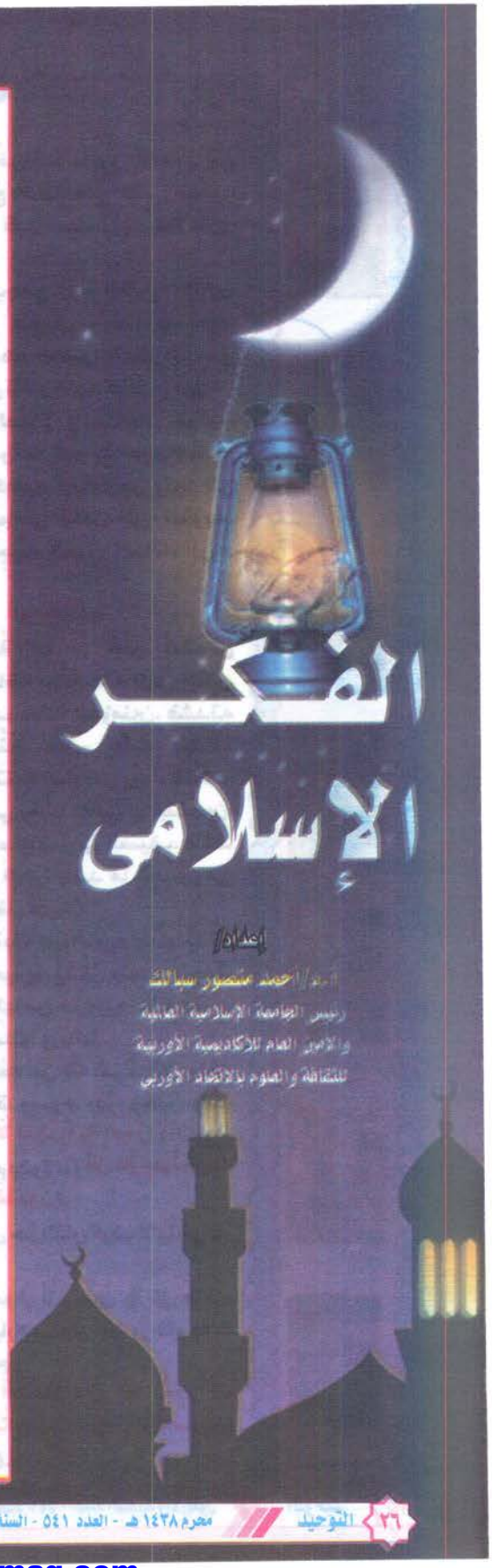

الفكر الإسلامي

إعداد/
أ.د/ أحمد منصور سالم
رئيس الجامعة الإسلامية العالمية
والأمين العام للأكاديمية الأوربية
للثقافة والعلوم والاقتصاد الأوربي

بسم الله، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وبعدُ:

الفكر الإسلامي كمنظومة ثقافية حضارية يمثل مادة حيوية في الاشتغال الفكري على النطاق العالمي اليوم، حيث يفوق ويتقدم على كل المنظومات الفكرية في العالم والأسئلة الآن:

- ما هو الفكر؟
- وكيف يكون؟
- ومتى يكون؟
- وأين يكون؟
- والسؤال الأهم: مَنْ المفكر؟

هذه تسمى عند المناطقة بأسئلة المعارف الخمسة، فمن أراد أن يُكوِّن معرفة لأمر ما، عليه بالإجابة على هذه الأسئلة الخمسة.

ولماذا بدأنا بهذه الأسئلة؟

لأنه شاع في عصرنا الحديث استعمال مصطلح «الفكر الإسلامي»، وغدا من المألوف أن يتردد على ألسنة العلماء والمفكرين، وأن يكون عنوانًا لكثير من الدراسات والكتب، وأن يكون موضوعًا للقاءات وندوات ومؤتمرات، ومادة علمية للدراسة في الكليات والجامعات.

بل وجدنا معهدًا متخصصًا قام لدراسة الفكر وإغنائه، وهو «المعهد العالمي للفكر الإسلامي»، بل وكان لي شخصيًّا قلمٌ فيه، فصنَّفت منذ سنين كتابًا بعنوان: «الفكر الإسلامي.. عوامل النشأة وسبل التطور».

ومع كثرة استعمال هذا المصطلح حديثًا، إلا أنه لم يَحظ بَعْدُ مِنْ العلماء والدارسين بما هو جدير به من عناية وبيان، وربما وقف منه بعض الناس موقف الشاك المستريب؟ نظرًا لعدم وروده على ألسنة السلف الصالح أو العلماء السابقين- فيما وصل إلينا من كتبهم ومؤلفاتهم-.

ومِن ثَمَّ مصطلح: «المفكر الإسلامي»، هذا المصطلح الذي أصبح يتناقل بين العامة قبل العلماء والمفكرين كالماء والهواء، لا سيما وأكثر من لُقب بهذا اللقب الآن ربما يكون أول مهمة له يفكر، يفكر في الدين الإسلامي- يا ليته ما فكر-.

وان ألقاك فهمك في مهاوي

Upload by: altawhedmag.com

فليتك ثم ليتك ما فَهِمْتَ
إذا لم تجد في العلم خيرًا
فخيرٌ منه أن لو قد جهلتَ

فرأينا مفكرين كُثر يفكرون في الإسلام، بل وللإسلام، ولا يقف إلى هذا الحد، بل يزعم أنه هو المفكر، المجدد لهذا الدين، الواجب اتباع تفكيره.

وكيف لا؟!

وهو الملقب بـ «المفكر الإسلامي» أو «المجدد للدين»، ويرحم الله الرافعي مصطفى صادق لما حذر من هؤلاء قائلاً: يفكرون ثم يريدون أن يجددوا لنا الدين والشمس والقمر.

وكذلك أمير الشعراء أحمد شوقي حين قال:

لا تحذو حذو عصابة مفتونة
يجدون كل قوم أمرًا منكرًا
ولو استطاعوا أنكروا في المجامع
مَن ماتَ من آبائهم أو عُمّرا
مِن كُلِّ ماضٍ في القديم وَهَدمه
وَإذا تَقَدَّمَ للبِنايَةِ قَصَّرا

فهل يحق لأحد أن يزعم أن أحدًا من الباحثين المجتهدين في الفكر الإسلامي قدَّم فهمًا للإسلام نستطيع أن نصفه بالصحة والصواب، وما سواه من الآراء التي قدمها غيره بعيد عن هذه الصحة والصواب؟

ثم ما هو معيار الصحة والصواب الذي نزن به فكر هذا أو ذاك ممن يلقبون بالمفكرين الإسلاميين؟

بمعنى آخر: يصف الكثير نفسه بأنه «مفكر إسلامي»، ما هو إذن السمات الجوهرية التي تؤهله لاستحقاق هذا الوصف؟

فمن المفترض أن الذي يصف فكره بالإسلامي، ينبغي أن تأتي أقواله وأفعاله إلى حد كبير تجسيدًا لهذه الصفة، فالتدين ليس مجرد التمسك بشكليات الدين دون جوهره ولا العكس، بل للاثنين معًا.

لأن التدين هو الفهم الواعي للدين والعمل به ظاهريًا وجوهريًا، مما يربط حياة التعبد بحياة المجتمع، فلا ينعزل بعيدًا عن حقائق الحياة، وفي نفس الوقت لا ينغمس في الدنيا وينفلت منه الدين شيئًا فشيئًا، فلا هذا ولا ذاك.

لما نقرأ كتب السابقين كـ «درأ تعارض العقل والنقل»- مثلاً- وهو في مضمونه ينتقد فيه شيخ الإسلام يرحمه الله فكرًا معينًا، تعلم أن الفكر الإسلامي له قواعد وأسس من خلالها يتكون، وله نتيجة تتضح في سمات وصفات تؤدي إلى التدين الحق.

فالدخول تحت هذا المصطلح ينبغي أن تعلم أولاً الإجابة على الأسئلة التي بدأت بها المقال لأنها تساعد على تكوين حد صحيح لمصطلح الفكر، حتى نقف به على منهج صحيح يُتبع، ويُرسم لمن يريد أن يكون صاحب فكر إسلامي، فلا يتخبط بين المناهج الباطنة.

فمن هنا نجد الحاجة ماسة إلى الدراسة والكتابة في هذا المصطلح، لا سيما وقد كُتب له الشيوع والانتشار، وذلك ليكون القارئ على بينة من هذا المصطلح، فلا يلتبس عليه الأمر.

فالحاجة ماسة الآن للدخول في هذا المصطلح (الفكر الإسلامي) لبيان ماهية وكيف يتكون ومتى ومن يطلق عليه ومن لا، وكل ذلك يكون من خلال مصدر واحد، يسمى عندنا: بمصدر تلقي العلوم الإسلامية، ألا وهو الوحي الشريف وما يدور حوله من علوم.

ولهذا سنكتب فصولاً تساعد القارئ الكريم على الإجابة على هذه الأسئلة، وتضعه على الخط الصحيح الذي يوافق قول نبينا صلى الله عليه وسلم: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي..».

ولكن أردت الآن أن أضع أمام عين القارئ توطئة فيما سنكتب فيه بعد ذلك إن شاء الله وقدر.

سائلين المولى عز وجل أن ينفع بها القارئ والكاتب، إنه ولي ذلك والقادر.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

Upload by: altawhedmag.com

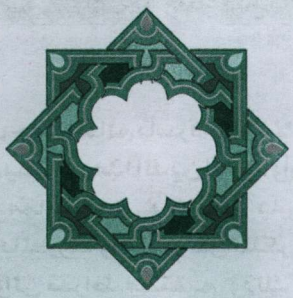

الفكر الإسلامي (٢)

إعداد/ أ.د/أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

تحدثنا في المقال السابق في عُجالة حول ما سنتحدث عليه فيما بعدُ؛ وهو «الفكر الإسلامي»، هذا المصطلح الذي ذاع صيته شرقًا وغربًا بلا مضمون يُذكر، وهذه المرة سنتحدث- إن شاء الله- عما يصف هذا الفكر بالإسلامي، وهو «الدين الإسلامي»، الدين الحق الذي ينبغي على كل متدين أن يدخل في عبائته.

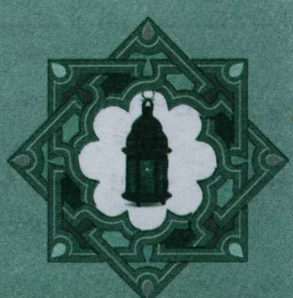

أبدأ بسؤال: ما هو الدين أولاً؟

لقد شغلت مسألة الدين وتحديده العلماء قديمًا وحديثًا، ومن ثَمَّ نجد له تعريفات شتى، تتقارب حينًا، وتتباعد حينًا، إلا أن ما يهمنا بما يعرفه أهل الإسلام أولاً:

فهو علاقة بيننا وبين رب العالمين، يفرض علينا من خلال هذه العلاقة واجبات نؤديها، ونتيجة لذلك لنا عند الله حقوق، ويشهد لهذا حديث معاذ عند مسلم، لما كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم على دابته وسأله عن أمرين: أتدري يا معاذ ما حق الله على العباد؟ وأتدري يا معاذ ما حق العباد على الله؟

وفي السؤالين أجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله على الأمر الأول: أن يعبدوه لا يشركوا به شيئًا، وعلى الثاني قال: أن يدخلهم الجنة.

حقوق وواجبات:

هذه العلاقة بين العبد وبين ربه تسمى: «الدين»، ولهذا أُخذت هذه اللغة عند العرب من الدين، وهو العلاقة بين دائن ومدين، ودين ينتقل بين الاثنين، ومن هنا إذ لم يقيد الدين بأنه من الله تعالى فهو دين باطل، صاحبه ومعتنقه في الآخرة من الخاسرين، ومن هنا كان قول الله تعالى: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ» (الكافرون:٦).

ومع أن الله سبحانه سمى ما كان عليه العرب في الجاهلية من الوثنية: دينًا، إلا أن الدين الحق ما كان وحيًا من الله تعالى للمصطفين من خلقه، لهداية الناس إلى الصراط المستقيم بما يأتي به من العقائد التي لا تختلف فيها الرسل عليهم الصلاة والسلام، كما قال الله تعالى في الشورى: «شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ» (الشورى:١٣) أي: أوحينا إليك يا محمد وإلى سائر الأنبياء دينًا واحدًا.

ولن نجد جماعة إنسانية كانت تعيش في الأزمان القديمة إلا كان لها دين، ومعبودات تتجه إليها، رهبًا حينًا، ورغبًا حينًا آخر، ولعل الرهبة والرغبة هما الطابع المميز الذي يُلازم كل دين من أول عهد البشرية بالحياة، حتى هذا العصر الذي نعيش فيه.

هذا، وقد تجد في عصر أقلية- لا يعتد بها- من الناس في أمة أو أمم مختلفة لا تفكر في الدين ومسائله أو تنساق في حياتها بتيار المادية الجارف، وتكاليف الحياة الدنيا الثقيلة المرهقة، وتأخذ الحياة على أنها لهو ولعب ولا شأن للدين بها.

ولما كان الشعور الديني أصلاً في الإنسان في أي زمن وعصر يعيش، مهما كانت درب ثقافته وحضارته؛ لأنه نابع من نفسه، والتي تخاف المجهول وترجوه دائمًا، ولو لم تكن الغريزة الدينية بهذه الصورة لعزَّ على الأنبياء والمرسلين تبليغ الوحي الإلهي لمن أرسلوا إليهم، أو بعبارة أدق: لكان تثبيت هذا الوحي في قلوب من يبشرونهم به أمرًا عسيرًا كل العسر عليهم.

ولما كان لكل مجموعة منهم دين، كان منهم من يعبد الأوثان والأصنام، ومن يعبد النجوم والكواكب، ومن يعبد الأشجار أو الحيوانات... إلخ.

ومن ثم يتبع ما يوحى إليه من قبل معبوده الذي اتخذه إلهًا له، وينفذ أوامره بحذافيرها.

ومن أجل ذلك يجب أن نعرف: أن نشر الدين الصحيح ليس معناه خلق الميول الدينية التي لم تكن قبل، بل معناه توجيه هذه الميول الوجهة الصحيحة؛ لتصل إلى الدين الحق، ليكون رحمة بالناس جميعًا، إذ يهدي النفوس الضالة إلى الحق من أقرب الطرق وأيسرها.

فالإنسان لا يكون شيئًا إن تُرك إلى نفسه وعقله، ومن العدل أن يكون الإنسان مسئولاً عما يفعل، وأيضًا يحقق الغرض من وجوده، وحتى يكون كذلك لا بد من أن يُبين له الرشد من الغي، ويُفصل له بين الحق والباطل، وقد كان هذا على ألسنة من اصطفاهم من خلقه ليكونوا حاملي رسالاته، هذه الرسالات التي رأيناها متدرجة لتتفق كل منها وعقلية الشعب أو الأمة التي جاءت لها.

لهذا رأينا في إرسال الرسل أن كل رسول يتبعه رسول حتى بُعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام للناس جميعًا والإنسانية عامة؛ ليخرج العالم مما كان يتخبط فيه من ظلم وضلال.

وهذا الذي جعل العالم بأسره- كان ولا يزال- في حاجة شديدة إلى هذا الدين الحق، وأن خلاص الإنسانية مما تعانيه في الإيمان به واتباعه، فهو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والداعي إلى الحق وإلى صراط مستقيم، وذلك بما اتسم هذا الدين من سمات تصلح لذلك، وخصائص تدعمه في عمل كل هذا، كوحدته الدينية والسياسية، والاجتماعية، وأنه يخاطب العقل والفكر، وأنه دين يوافق الفطرة في وضوح تام، ويدعوا إلى الحرية والمساواة، لذلك أصبح خاتمًا للرسالات السماوية لصلاحه للإنسانية كلها.

إذن: لما يكون الدين للفرد وللدولة وللأمة وللعالم، فيه إقرار بحقوق الإنسان في شتى النواحي، ألا يكون جديرًا بأن يخلق فكرًا يساعد على نهضة الأمة إن دانت به؟

هذا السؤال رغم تكراره على ألسنة الكثير، إلا أننا نغفل عن الشرط الذي في آخره: إن دانت به؟!

فللأسف أصحاب هذا الدين ظلموه مرتين:

الأولى: في حمله.. ما حملوه بحق.

الثانية: في عرضه.. ما عرضوه بحق.

فوجب علينا أن نحمل ديننا ونفهمه بالصورة التي رسمها لنا الوحي الشريف- بالقرآن والسنة- حتى يكون لنا بابًا نعرض من خلاله فكرًا دينيًّا صحيحًا، على حد تعبير البعض، فلا يتصور فكرًا إسلاميًّا نابعًا عن بُعدٍ تام كما بين المشرق والمغرب، فيما بين ما ينتج عن هذا الفكر وبين أصوله الإسلامية الصحيحة.

فأقف إلى هذا الحد، وأترك القارئ الكريم ليتدبر ما ذكرت؟ حتى إذا ما تكلمت فيما بعد عن الفكر ومراتبه وفضائله وفريضته، وواقعه بين العقل والشرع، وكيف نرده إلى الشرع فيحكم بقبوله أو رده.. في مقالات آتية بإذن الله تعالى.

سائلاً المولى سبحانه أن ينفع به القارئ والكاتب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

كان مسيئاً فلعله يُستعتب" أي: يتوب، ويصلح حاله. (ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١١٥٧/٣)، (عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩٣/٢٣»، (شرح النووي على مسلم (٩/١٧)، (فتح الباري لابن حجر (٣٥٨/١١»، (شرح رياض الصالحين (٦٦٢/٦».

وفي الجمع بين الحديثين حديث النهي عن تمني الموت وحديث الحث على محبة لقاء الله، وشرح العلماء لهما، ودفع ما يوهم التعارض بينهما لهو رد على غير الفاهمين للسنة النبوية، وتذكير بالتوبة لمن تسرب الإنكار إلى قلبه والبحث في هذا الباب (أي باب مختلف الحديث وكذلك مشكله) من الأهمية بمكان؛ إذ هو دفاع عن السنة ضد من طرح شبهاته لرد السنة من هذا الباب، فقيض الله لدينه من العلماء الربانيين من يدحضون شبه هؤلاء فامتلأت أرحام المكتبات بمؤلفات لم تترك لأمثال هؤلاء سبيلاً، ومن ذلك: (كتاب اختلاف الحديث للإمام الشافعي (٢٠٤هـ)، ويعتبر هذا الكتاب أول مؤلَّف في هذا الفن، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٢٧٦هـ، ومما يحذر منه (مشكل الحديث وبيانه: لمحمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (٤٠٦هـ)، والخاص بأحاديث العقيدة المتعلقة بالأسماء والصفات، فأورد جملةً منها زاعماً أن ظاهرها يوهم التشبيه والتجسيم، ثم ذهب يؤولها ويصرفها عن ظاهرها المراد منها، بما يتوافق مع مذهبه الأشعري، ويبوب في الغالب (ذكر خبر مما يقتضي التأويل ويوهم ظاهره التشبيه).

والحمد لله رب العالمين.

الفكر الإسلامي

الحلقة الثالثة

إعداد/ أ.د/أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

تكلمنا في المقالة السابقة حول «الدين»، وبينا أنه يشتمل على حقوق وواجبات؛ واجبات يؤديها المكلَّف له بها عند الله تعالى حقوق.

ومن المعهود عند أهل العلم أن الحقوق أربعة:

- حق خالص لله تعالى، وهو يتمثل في العبادات.
- وحق خالص للعبد، ويتمثل في المعاملات.
- وحقان مختلطان بين العبد وبين الرب عز وجل.
- حق مختلط بين العبد وبين الرب، لكن حق الرب فيه أغلب، كبعض الحدود مثل حد السرقة، فإذا تنازل المسروق منه عن حقه، لا مفر من إقامة الحد؛ لأن حق الله في هذا أغلب؛ لأنه يدخل فيه أمن المجتمع بأسره.
- وحق مختلط بين العبد وبين الرب، وحق العبد فيه أغلب؛ كالقصاص فقد جُعل الحقّ في يد ولي الدم؛ لعدم إيغار الصدور.

الحاصل من كلام أهل العلم: أننا نتكلم عن دين فيه من الأحكام ما هو من الثوابت، وفيه من الأحكام ما هي متغيرات.

لذا عزمت أن أتحدث اليوم بين أيديكم حول: الثوابت والمتغيرات، ليعلم المتحري أين موقع الفكر بينهما.

أيكون الفكر في الثوابت؟

أم يكون في المتغيرات؟

فتعالوا نتعرف على الثوابت والمتغيرات في شريعة رب الأرض والسماوات.

أما الثوابت: فهي كلمة جمع، مفردها ثابت، أي

مستقر دائم، وعليه فالأحكام الموسومة بأنها من الثوابت تجد فيها صفة الديمومة والاستقرار.

وقد بيَّن أهل العلم كالشاطبي أنها خمسة أنواع من الأحكام، وهي: الأصول العقدية، والفرائض الركنية، والأحكام القطعية، والمقاصد الكلية، والقيم الأخلاقية.

وليس المجال مجال تفصيل لهذه الخمسة، بل ذكرهم يكون على سبيل الإجمال، فأقول:

أولاً: الأصول العقدية، وهي أصول الدين الكلية، والتي وردت في سؤال الملكين في القبر عن (الله تعالى) والدين الإسلامي، والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

وثانيًا: الفرائض الركنية، وهي التي وردت في حديث عبد الله بن عمر عند مسلم وغيره: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقامة الصلاة، وصوم رمضان، وإيتاء الزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً».

وثالثًا: الأحكام القطعية، وهي التي مثل لها إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل بأنها المعلوم من الدين بالضرورة، كحل البيع وحرمة الربا، وحل الزواج وحرمة الزنا.. وهكذا.

ورابعًا: المقاصد الكلية، وهي غايات هذا الدين المجمع عليها في حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل.

وآخرها: القيم الأخلاقية، والخُلق هو الطابع الذي يخرج من الإنسان حينما يتعرض إلى إخراجه دون أن يفكر: أيخرجه أم لا؟

والخُلق هو الفضيلة بين الرذيلتين، فالكرم: خُلق بين الإسراف والبخل، وهكذا سائر الأخلاق.

وأما المتغيرات: فهي جمع متغير وهو ما ليس بثابت ولا مستقر، فهي بخلاف الثوابت، فهي تتجدد ولا تثبت ولا تستقر.

ووضح أهل العلم كابن القيم أن: الأحكام المتغيرة هي التي تغيرت بتأثير من خمسة أشياء:

«المكان، والزمان، والأشخاص، والعادات، وما سكت عنه الشرع»، ولهذا خصصوا المتغيرات بالفتاوى التي تخص الشخص المستفتي، ومكانه وزمانه، وحاله وعاداته وتقاليده، كما خصصوا الثوابت بالأقضيات التي لا تتأثر بتلك الخمسة، لثباتها واستقرارها.

وقد مررت على ذكر الثوابت والمتغيرات لأجعل هذا الكلام خاتمة الحديث عن المقدمات التي عقدت الكلام عليها قبل الكلام عن الفكر؛ لتعلم الإجابة عن الأسئلة الأولى في أول مقال كتبته لك.

كيف نفكر؟ ومتى نفكر؟ وفي أي موقع من الدين نفكر؟ وهذا لنضبط الفكر.

وبعد ذلك يجب علينا أن نجيب عن السؤال المنتظر من أول حلقة معكم في سلسلة هذه المقالات عن الفكر الإسلامي، ألا وهو: ما هو الفكر؟ وكيف نصفه بأنه: فكر إسلامي؟!

قلتُ: لا بد من الوصف: (إسلامي) أن يكون له شروط وضوابط، فليس كل كلام إنسان في دين الله تعالى نستطيع أن نسميه فكرًا إسلاميًّا.

فما هو الفكر؟

هذا سؤال نجيب عنه في المقالة القادمة إن شاء الله وقدر، سائلين المولى عز وجل أن ينفع القارئ والكاتب بما كتب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

باب الفكر الإسلامي

الحلقة الرابعة

إعداد/ د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

لقد تكلمنا فيما سبق عن ما يستحق أن يُوصف بالفكر الإسلامي، فتكلمنا عن الإسلام وثوابته ومتغيراته.

وجاء دور الكلام عن الفكر نفسه، فما هو الفكر وأين يكون؟

يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: إن مادة فكر تفيد: تردد القلب في الشيء، يقال: تفكر: إذا ردد قلبه، ويقال: رجل فِكِّير: أي كثير الفكر.

ويرى صاحب القاموس المحيط أن «الفكر» هو إعمال النظر في الشيء، ولهذا فالفكر عمل عقلي، وحركة ذهنية.

وقد كان للعلماء عناية تامة بهذه المعاني اللغوية للكلمة؛ لإيجاد معنى يقرب اللفظة ويشرح معناها.

فها هو الجرجاني يقول عنه: "الفكر ترتيب أمور في الذهن يتوصل بها إلى مطلوب يكون علمًا أو ظنًا".

وابن القيم يقول عنه: "هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة".

وغيرها من التعريفات لا يتسع المقام لذكرها، لكن نخلص منها الآتي:

«الفكر يراد به القوة المركبة المفكرة، وهو حركة للقلب ومن ثم العقل نحو الشيء، وتنطلق منه مسلَّمات عقلية بغية الوصول إلى أهداف ومطالب، ولهذا فهو من خصائص الإنسان دون الحيوان، ولأنه له صورة في القلب فهو أمر محسوس متخيل، ومن هنا جاء النهي عن التفكر في ذات الله تعالى.

وعليه؛ فينصبّ مصطلح «الفكر الإسلامي» على عملية التفكير نفسها بأنها إسلامية، وهذا صلب الحديث: أيحق ذلك؟ وإن كان فأين يقع؟

ولما كان الفكر عمل عقلي محض وجب العلم بأن العقل موجود في تلك المضغة المسماة بالقلب، ولهذا فموضعه في القلب.

قال الله تعالى في آية الحج: « أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ » (الحج:٤٦).

ولهذا حكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير قوله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». الحديث متفق عليه.

وأبلغ من تكلم عنه كان الإمام أحمد رحمه الله حيث قال: العقل في القلب ولا اتصال بالدماغ، ولما كان الفكر هو: دوران الشيء في العقل بين القبول والرفض، فإذن منزلة الفكر بين الاثنين، أي ساعة الدوران، وهي التي يطلق عليها عند البعض بـ: مراتب وصول العلم إلى النفس.

وقسم أبو البقاء الكفوي في «كلياته» هذه المراتب بطريقة عقلية بحتة، فوصف مراتب وصول العلم إلى النفس فقال: ومنها:

الشعور أول مراتب وصول العلم إلى النفس، ويكون ذلك عن طريق الحواس.

ثم الإدراك: وهو أول إدراك العقل مراتب العلم.

ثم الحفظ: وهو استحكام المعقول في العقل.

ثم التذكر: وهو محاولة النفس استرجاع ما زال من المعلومات.

ثم ذكر: وهو رجوع الصورة المطلوبة إلى الذهن.

ثم الفهم: وهو التعلق غالبًا بلفظ من مخاطبك.

ثم الفقه: وهو العلم بغرض المخاطب من خطابه.

ثم الدراية: وهي المعرفة الحاصلة بعد تردد مقدمات، مثل: العلم المقتبس من قواعد النحو وقواعد العقل.

ثم اليقين: وهو أن تعلم الشيء ولا تتخيل خلافه.

ثم الذهن: وهو قوة استعدادها لكسب العلوم غير الحاصلة.

ثم الفكر: وهو الانتقال من المطالب إلى المبادئ ورجوعها من المبادئ إلى المطالب.

ثم الحدس: وهو الذي يتميز به عمل الفكر.
ثم الذكاء: وهو قوة الحدس.
ثم الفطنة: وهي التنبه للشيء الذي يعتقد معرفته.
ثم الكيس: وهو استنباط الأنفع.
ثم الرأي: وهو استحضار المقدمات وإحالة الخاطر فيها.
ثم التبيُّن: وهو علم يحصل بعد الالتباس.
ثم الاستبصار: وهو العلم بعد التأمل.
ثم الإحاطة: وهي العلم بالشيء من جميع وجوهه.
ثم الظن: وهو أخذ طرف الشك بصفة الرجحان.
ثم العقل: وهو جوهر تُدرك به الغائبات بالوسائط والمحسوسات والمشاهد.
ويُلاحظ مما مضى:
أن مرتبة الفكر جاءت متوسطة بين المراتب العقلية المذكورة، حيث جاءت قبلها عشر مراتب وبعدها عشر مراتب.
ولا شك- طالما أن الأمر فكر- أن هذا الترتيب الذي أورده الكفوي لمراتب وصول العلم إلى النفس هو ترتيب اجتهادي قد ينازع فيه، أو في بعضه كما ذكر ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»، فقال: «إن للإدراك مراتب بعضها أقوى من بعض، أولها الشعور، ثم الفهم، ثم المعرفة، ثم العلم، ثم العقل، ومرادنا بالعقل (المصدر) وليس القوة الغريزية». اهـ.
كما أن اجتهاد الكفوي هذا لم يستقرئ جميع المراتب العقلية والعلمية، فلم يذكر: المعرفة والحكم والخاطر والوهم والخيال والبديهة والروية والخبر والفراسة والرؤيا، والقيافة والكهانة والنظر... إلخ.
إلا أنه يعطينا فكرة- ولا شك- عن ثروة اللغة العربية وغناها بالمفردات العقلية، والتي تمثل كل مفردة منها مرتبة من مراتب وصول العلم إلى النفس.
ولا شك أن للفكر فضائل كثيرة عرض ابن القيم بعضها في كتابيه: «مفتاح دار السعادة»، و«الفوائد»، وقد ذكر في أحدهما: قول بعض السلف: "تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة".
وسأل رجل أم الدرداء بعد موت أبي الدرداء عن عبادته فقالت: كان نهاره أجمعه في بادية التفكر، وقال الحسن: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. وقال الفضل: التفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك.
وقال الحسن في قوله تعالى في الأعراف: « سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ » (الأعراف:١٤٦)، قال: أمنعهم التفكر فيها.
وليس إيراد هذه النصوص من باب تحقيقها، بل من باب أن أهل العلم ذكروا للفكر فضائل جمة، وكيف لا، وقد ذُكر التفكر في القرآن الكريم في عشرين آية، مرة (فكر)، وتسع عشرة مرة تتفكرون.
وذكرت هذا كله لأدلك على أن مجال الفكر واسع، وموضوعه خصب للتأمل والتدبر، ومن هنا فقد بيّن القرآن الكريم أن من القرآن ما لا يمكن الوصول إلى معرفته إلا عن طريق بيان النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها ما يمكن معرفته عن طريق التفكر، وقد جمع الله سبحانه بين هذين النوعين من البيان في آية واحدة، فقال الله تعالى في النحل: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » (النحل: ٤٣- ٤٤).
ومعلوم أن آيات القرآن فيها من دلائل التفكر ما فيها، فآيات الآفاق، كالتفكر في خلق السماوات والأرض، وآيات الأنفس، وآيات في أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وآيات النظر والبصر والتدبر، والاعتبار والذكر والعلم، وغير ذلك.
مما يقول عند العلامة ابن القيم في مفتاح دار السعادة: «وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه، أوقعك على العلم به ووحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من عموم قدرته وعلمه، وكمال حكمته ورحمته، وإحسانه وبره، ولطفه وعدله، ورضاه وغضبه، وثوابه وعقابه، فبهذا تعرّف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته». اهـ.
ولهذا نقول: إن هذه الإشارات الإلهية إلى آيات الله تعالى في الكون قد قُصد بها إيقاظ القلب البشري لعظمة الخالق، وقدرته المعجزة وعلمه المحيط، وهيمنته على أمر الكون وتدبيره له، لكي تخضع القلوب للخالق العظيم وتعبده وحده بلا شك، ولتصحيح العقيدة من الشوائب التي تعلق بها.
وهنا تكمن أهمية الفكر في القرآن، وأهمية المجالات التي يمكن أن يكون فيها الفكر مقبولاً، والكيفية التي يمكن أن نفكر بها، من غير الدخول فيما يكون فيه محذور شرعي.
وهنا أهتم بسؤال أبدأ به مقالي القادم- إن شاء الله وقدر-: هل هذا الفكر هو المراد به اليوم؟ والذي نسميه إسلاميًّا؟!
وأجيب على هذا في مقالي القادم بإذن الله تعالى، سائلاً المولى عز وجل أن يقدّر لنا ولكم الخيرات، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

الفكر الإسلامي

إعداد/ د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

دار حوار بيني وبين أحد المفكرين من الكبار- على حسب ما عرَّفني بنفسه- في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة.

وبدأ الحديث بعد أن عرَّفني أنه من المفكرين الكبار- على حد قوله- في الفكر الإسلامي، حول حجية السنة النبوية، فقال:

أنا لا أعتقد بأنها حجة!!

فقلت: حكمك على السنة يُعتبر فكرًا؟ أم يُعتبر نتيجة للفكر؟!

فقال: وما الفارق؟

قلت: كبير!!

فسألته: ما الفكر؟

فقال: دوران الشيء بين القبول والرفض.

قلتُ: ممتاز.

ثم قلتُ: وهل ينطبق هذا على كون السنة ليست حجة؟!

فغضب غضبًا شديدًا وانصرف.. وكنت أتمنى قبل انصرافه أن أسأله: لماذا تضيقون ذرعًا بمن يفكّر على مذهبكم؟

فالسنة عندنا حجة لا مجال فيها للتشكيك.

ولسرعان ما رجعت لأصل كلامي، وأن هذه المقالة تحت عنوان أين يقع الفكر؟ كما وعدت في مقالتي السابقة.

وهذا السؤال يمكن أن نسأله بطريقة أخرى: ما المساحة التي يترك للإنسان أن يفكر فيها؟ وأقصد بالمساحة: أي الموجودة في الشريعة الإسلامية؟ فهل الفكر في أيّ شيء في الشرع؟ أم يعتمد على أمور دون أخرى؟

والسؤال الذي لا بد أن يكون: هل يجوز الفكر في الثوابت؟!

هنا يجب أن نقف قليلاً..

لأن بعض مُدّعي الفكر يظنون أن الفكر في أيّ مساحة من الشريعة يؤدي إلى مواكبة التطور والحضارة، وأنه كمفكر له الحرية في أن يفكر في كل شيء بأية طريقة كانت، هذا إن صح أنه يطلق عليه أنه: مفكر.

ففي المقالات السابقة توصلنا إلى أن الفكر الإسلامي هو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول، ولهذا كان تعريفه: دوران الشيء مجهول العين بين الوجود والعدم.

وإذا وصفنا الفكر بأنه إسلامي؟ فهذا يُثبت انتماؤه للإسلام؟ بمعنى أنه لا بد له من مصادر حددها الإسلام.

فمثلاً: القرآن حدد مصادر الفكر بمصدرين:

الأول: الوحي.

ثانيًا: الكون.

فالأول: كما في قوله تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل:٤٤)؛ الذكر هنا هو السنة، وما نزل إليهم: القرآن.

أما الثاني وهو الكون: فقد وردت آيات كثيرة في القرآن تبين هذا الأمر، فآيات الكون كثيرة جدًا، وحاصل تدبرها الآن: إما يكون الحديث فيها عن الطبيعة: كسنن الآفاق من سماء وأرض وحيوان.. وغيرها، وذلك بمعرفة القوانين الكونية للطبيعة.

وإما عن الإنسان: كالأنفس، وكقيام الحضارات وسقوطها، ومعرفة قوانين المجتمعات الإنسانية.

هذا مع العلم بأن مصادر الفكر تدور حول وسائل المعرفة الثلاثة: (القلب، والعقل،

Upload by: altawhedmag.com

والحواس).

وقد ذكرها الله تعالى في قوله: «إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا» (الإسراء:٣٦)، ولهذا قال المفكرون الإسلاميون قديمًا:

إن للفكر الإسلامي خصائص، منها:

أولاً: الربانية في المصدر والغاية:

وذلك للعصمة من التناقض، والبراءة من التحيز والهوى، وسهولة الانقياد للمصدر مع وضع الغاية والهدف إرضاء لله تعالى.

ثانيًا: نزعة إنسانية:

مع العلم بأن الإنسان مستخلف في الأرض، خُلق في أحسن تقويم، قد سُخر الكون لخدمته، لا وسائل كهنوتية بينه وبين ربه.

ثالثاً: الشمول والوسطية والثبات:

فيجب أن يكون محل فكره شاملاً للأشخاص والأزمان والأحوال، بوسطية واعتدال، وبثبات في أصوله وأهدافه، مع المرونة الموجودة في فروعه ووسائله.

رابعاً: واقعيته مع احترام العقل ووضوحه.

حيث يكون الفكر واقعياً يحترم العقل، يراعي سنة التدرج في النزول من المثل الأعلى إلى الواقع، بوضوح تام لا لبس فيه.

سادسًا: يقدّر التجارب الإنسانية:

ألا يهدم تجارب غيره في الفكر، بل يقدّرها، ويجعل لها نصيباً من فكره، لا يدعي أن المفكر صاحب الفكر الأوحد.

هذا!! وقد وجدنا الغربيين من المفكرين يضعون مناهج للفكر عندهم من خلالها تتم عملية التفكير، وهذه المناهج رغم تسميتها بأسماء تعرف عندهم إلا أنهم لم يسبقونا- نحن المسلمين- إليها، سماها المسلمون: «مناهج التعامل مع النصوص»، وسموها هم: «مناهج التفكير السليم».

فالمنهج: هو الطريق الواضح المؤدي إلى بلوغ الحقائق بواسطة طائفة من القواعد العامة تُهيمن على سير العقل حتى يصل إلى النتيجة.

وهذا التعريف للمنهج محل اتفاق بيننا وبينهم، رغم أنهم اختلفوا في مناهج البحث؛ لقولهم: العلم يرتبط بأبعاد زمانية ومكانية متعددة.

فقالوا: المناهج ثلاثة:

الأول: المنهج الاستنباطي:

وهو كل مُستخرج شيئًا كان مستترًا عن الأبصار فهو مستنبط، كما قال ابن جرير: أو كما قال الجرجاني: هو استخراج المعاني من النصوص بقوة الذهن وفرط القريحة.

وأصله في كتاب الله تعالى: «وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ» (النساء:٨٣).

ولهذا المنهج عند الأصوليين أدوات ومبادئ ليس المقام محلاً لذكرها، ونجدهم يقولون عنه: طريقة من التفكير يحكم العقل بموجبها في قضية ما، بناء على قانون سابق.

أما الثاني: المنهج الاستقرائي:

والاستقراء هو التتبع، ولذلك يُعرف بالآتي: هو حالة صعود من النظر في الجزئيات للتوصل إلى أمر كلي كقاعدة عامة.

وعندنا نسميه بالقواعد الفقهية، وعند الغرب هو المنهج العمدة والأهم في العلوم التجريبية عندهم، وينسبونه لـ«بيكون» رغم أن المسلمين هم من أصّلوه وهذّبوه، ووضعوا قواعده وأسسه.

وأما الثالث: فهو المنهج الاسترادي: ويعتمد عندهم على الوجدان والخيال، وأعمل هذا المنهج في العلوم التجريبية، أما الوحي فعندهم أمر مبهم، اختلفوا في شأنه، فمنهم من قال: إلهام، ومنهم من قال: نوبات صرعية.. إلخ، لكن عندنا نسميه: منهج النقل وتحقيق الأخبار، وهناك علوم تبحث وتقوم عليه، مثل علم المصطلح، وعلم الرجال، وعلم التاريخ.. إلخ.

فلم يسبقونا في هذا أيضًا، ومع ذلك نقول للمفكرين المعاصرين الذين تلقوا من الغرب آليات العلم والفكر: بأيّ المناهج تفكرون؟

وبأي الطرق في الفكر تسلكون؟

ولأن الإجابة على هذين السؤالين هي مضمون المقدمة لسؤالي الذي افترضته في بداية مقالي: أين يقع الفكر؟

حتى أستطيع مناقشة المسافة التي يقع فيها الفكر عندنا كمسلمين، بمصادر فكرنا وآلياته وخصائصه ومناهجه التي ذكرتها سابقًا.

وهذا ما سيكون فيه الكلام بالمقالة القادمة- إن شاء الله- أترككم في رعاية الله وأمنه، وصلى اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

Upload by: altawhedmag.com

الفكر الإسلامي

إعداد/ د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

انتهينا أيها القراء الكرام في مقالنا السابق بسؤال، ألا وهو: هل يسوغ أن يكون الوحي مجالاً للفكر يقبل القبول والرفض؟!

وهذا السؤال هو السؤال الواقعي في هذه الفترة التي نعايشها الآن، حيث الضرب في ثوابت الدين، حتى وصل الأمر للطعن في الوحي؛ بحجة «الفكر».

فلا يخفى عليكم أن الدين ترقية للنفوس وتربية للعقول، وإصلاح للأعمال الظاهرة والأخلاق والعقائد والشرائع، والقرآن قد تكفل بكل ذلك بأحسن ما يكون، وكل تلك الأعمال متصل بعضها ببعض، وبجميعها تحصل التزكية، وهي الغاية والمطلوب.

وهذا كان ولا يزال سببًا في نشأة ثلاثة علوم: علم الأخلاق والمواعظ، وعلم الكلام، وعلم الفقه، وإذ جعل علم التأويل مقصورًا على الفقه، بقي علم الأخلاق والكلام بعيدين عنه، فلا تجده مستعملاً فيهما.

أما علم الأخلاق فاتسع بأهله حتى تشبثوا بكل ما راقهم وأعجبهم، فمنهم من يبنيه على الحكمة العملية التي تلقوها من الفلاسفة، ومنهم من يعتمد على تجاربه، ومنهم من يبنيه على الروايات الضعيفة، وربما يأخذون من القرآن حسب تأويلاتهم الركيكة، وذلك لظنهم بأنه لا حاجة إلى صحة الاستدلال في الترغيب والترهيب ومدح الحسن وذم القبيح.

ومنهم طائفة من المتصوفة تكلموا في العقائد يؤولون القرآن إلى ظنونهم، لجهلهم بالعربية وبحقيقة هذا الدين، ويزعمون أنهم أعرف بالقرآن وأسراره.

وأما علم الكلام فأصحابه قلَّ اعتمادهم على النقل، وكان معظم احتجاجهم بما تحتج به العقول لكي يسلم لهم الخصوم، وربما يؤولون القرآن إلى غير مراده فرارًا من اعتراضات المعاندين؟ إذ لم يهتدوا إلى صحيح التأويل وموافقة المعقول بالعقول، وجعلوا للتأويل أبوابًا يخرجون منها؟ إذ لم يمكنهم الدفاع على وجه صحيح، حتى قال بعضهم- كالرازي عفا الله عنه-: «إنه لا اعتماد على ظاهر القرآن؟ لعله يكون من المتشابهات».

فجعل القرآن كله ملتبسًا، ولم يكن ذلك إلا لعدم تأسيس أصول التأويل العامة التي يُعتمد عليها في كل ما يُستنبط من القرآن.

فإن جُعل القرآن أصلاً لتمام علم الدين- كما هو في الحقيقة- صار الواجب أن تؤسس أصول للتأويل، بحيث تكون علمًا عامًّا يؤخذ من القرآن.

وعند الحديث عن القرآن تدخل السنة فيه ضمنًا لأنهما وحي الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم.

فالوحي الشريف- كتاب وسنة- تضمَّن من الحكمة والمعارف ما لا يُحيط به إلا الله تعالى، فمن الخلل الفاحش والخطأ في تأويله حمل ظاهره على معتقد سابق، والأصل العكس، إذ تأويل المعتقد السابق ليكون موافقًا للوحي، هذا هو الأصل، أو النظر مرة أخرى في الوحي لعل الله تعالى يهدي إلى التوفيق.

الأصول الأولية لفهم الوحي

قالوا قديمًا: إن الفهم يتطلب أحد أمرين، أو الأمرين معًا:

١- السياق اللغوي للوحي.
٢- فهم الأوائل له.
فالأصول الأولية لفهم الوحي التمسك بنظم الكلام وسياقه، والمعنى الشاذ لا يُلتفت إليه، وفهم الكلام بعضه من بعض بالمقابلة وحمل النظير على النظير، ومنه حمل الوحي على الوحي مع معرفة أوجه الكلام ولهجته من الرأفة والزجر والغضب والوعد والوعيد... إلخ.
ثم الأخذ بأحسن الوجوه وهو ما كان أولى بمعالي الأمور ومكارم الأخلاق، وأوضح لدى القلوب، وأوفق بمحكمات القرآن، وأحسن ظنًا بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأظهر بيانًا من محكمات اللغة العربية.
فالأسلم لإدراك سليم: عرض الوحي على الوحي، القرآن على السنة، والسنة على القرآن، ثم فهم من نزل بينهم الوحي، لسليقة اللغة عندهم مع معاصرة التنزيل، فهم أوفى وأفهم لمقاصده، ولهذا انعقد الإجماع على أن أسلم التفاسير التفسير بالمأثور.

الاعتداء على قداسة الوحي

أما فكرة الثنائية الجدلية: الوحي والعقل، أو النص والاجتهاد، وفتح باب الفكر المذموم لأصحاب الحداثة والتغريب، وذلك بعد أن حقق الإسلام تقدمًا ملموسًا على العالم بأسره، فيحاول أصحاب هذا الاتجاه أن يجعلوا مصطلح التراث الإسلامي شاملاً لنصوص الوحي، ثم يخلعوا عن هذا المصطلح صفة القداسة، ومن ثَمَّ تُخلع صفة القداسة عن الوحي باعتباره داخلاً في مصطلح التراث.
ثم يُخضعون هذا الوحي للدراسة على أنه مصدر ليس إلهيًا وليس مقدسًا، ومن ثَمَّ يمكن أن يقولوا فيه ما يقولون في غيره من الأعمال البشرية، من نقد وتخطئة وغير ذلك، وهم بذلك يفتحون جبهة جديدة في الصراع مع قداسة الوحي.
صحيح أنه قامت قديمًا محاولات للنيل من قداسة الوحي، كانت على استحياء مع التسليم بطابع القداسة والربانية، إلا أن الاتجاه الجديد يُريد أن يلغي هذا الطابع من الوحي، لينطلق في هجومه على الإسلام بكل ما يملك، وحتى لا يقف أمامه عائق.
ويبدو أن هذه المرحلة لم يَعد يفيد فيها التستر؛ لأن الصراع وصل إلى نهايته، وأصبحت المعركة بين الإسلام وخصومه معركة حياة أو موت، وذلك بعد أن فقد الفكر التغريبي كثيرًا من مواقعه، نتيجة انقشاع الغشاوة التي كانت تُغطي الأعين وتمنعها من رؤية الحقيقة الناصعة.
وهذا يفرض لأصحاب الفكر السليم الصحيح أن يُشمروا لفضح هذا الاتجاه، وأن يظهروا مقاصده التي يُخفيها في نفسه من وراء هذا الطرح، والذي يُحاول إضفاءه تحت ستار (العلمية)، و(الموضوعية)، و(عدم الحجر على الفكر).. إلخ.
والمضحك أنهم يلقبونه بالإسلامي.. سبحان الله تعالى!!
وأنتم ترون كيف أصبح الواقع المعاصر بهذه المصطلحات شديد التعقيد والتشابه، الأمر الذي يفرض على العلماء دراسة تفصيلية لهذا الواقع وكيف نشأ، وكيف يتطور، وما هي العوامل التي تؤثر فيه، وكيف يُمكن فرز خيوطه، والتعرف على نسيجه، ثم كيف يُمكننا أن نسير به في طريق التطوير والتطويع ليكون قابلاً ومنسجمًا مع شرع الله تعالى في الانقياد لوحيه الشريف- قرآنًا وسنة-.
هذا، ونسأله سبحانه أن يثبتنا على دينه، وإلى لقاء آخر، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفكر الإسلامي

إعداد/ د. أحمد منصور سبالك

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

وقفنا في مقالتنا السابقة عند سؤال هو مصب الحديث عن الفكر، ألا وهو: هل يسوغ أن يكون الوحي مجالاً للفكر؟!

أو بصيغة أخرى: هل الوحي يقبل التفكير فيه من ناحية القبول والرفض؟

وهذا السؤال بمثابة واقع أليم مُعايش الآن؟ وللأسف يزعمون أنهم أصحاب فكر.. واسلامي أيضًا!!

إنه لما كان الوحي الشريف قرآنًا وسنة، مصداقًا لقوله تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل:٤٤)، فالحديث عن الوحي حديث عن القرآن والسنة، وبما أن حديث أهل الفكر إياه عن القرآن هو نفس كلام أهل الاستشراق، وأصل حديثنا مُنصبٌ على الفكر الإسلامي، على حد تسميته لنفسه أو تسمية الآخرين له، فسينصب كلامنا على السنة النبوية وموقف أولئك المفكرين منها.

لا سيما وأن هناك جملة من المغالطات والجهالات التي زعموا أنها من الشُبَه التي تُثار ضد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المطهرة، وليس ذلك فحسب، بل تمتد بهم الضلالات حتى يزعموا أن هذه الشُبَه هي في ذات الوقت أدلة قاطعة على وجوب ترك السنة، وإهمالها والانصراف عنها، وعدم اعتبارها مصدرًا للتشريع، ويزيدون الأمر بقولهم: نقتصر على القرآن الكريم مصدرًا وحيدًا للتشريع الإسلامي، وهو كافٍ في بيان قضايا الدين وأحكامه الشرعية.

وهذه هي شبهتهم الأولى في رد السنة والطعن عليها.

وسنتناول الكلام على هذه الشبهة حتى نعلم مدى الفكر المسمى بـ«الإسلامي»، فإن القول بهذه الشبهة يدل على جهل بالقرآن، وعدم فهم لآياته، بل يدل على سوء قصد لدى القائلين بها؛ لأنهم طعنوا في السنة مستدلين بآيات من القرآن مثل قوله تعالى: «مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ» (الأنعام:٣٨)، وقوله تعالى: «مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (يوسف:١١١)، وكذلك استدلوا بالآيات التي وصف الله سبحانه وتعالى القرآن فيها بأنه «مبين»، كقوله تعالى: «إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ» (يس:٦٩).

ووجه استدلالهم بتلك الآيات أن القرآن لم يُفرِّط في شيء، ولم يدع أمرًا من أمور الدين أو حكمًا من أحكام الشرع يحتاج إليه الناس إلا وقد ذكره في القرآن، فالقرآن اشتمل على تفصيل كل شيء كما في ختام سورة يوسف، وما كان ذلك كذلك إلا لأن القرآن مبين.

كل هذا يقطع الطريق على من يقول- على حد زعمهم- أن القرآن في حاجة لمصدر آخر معه في التشريع، فلا مجال لقول القائل: السنة تبيِّن القرآن وتفصِّل ما أجمل فيه، فالسنة لا محل لها من التشريع، ولا حاجة إليها في بيان أو تفصيل أو توضيح القرآن الكريم.

ولهذا قلت: إن هذا الكلام جهل محض بالقرآن وعدم فهم لآياته، وما دل إلا على سوء قصد القائلين به؛ لأن الأمة أجمعت على أن القرآن قد اشتمل على قضايا الدين، وأصول الأحكام الشرعية، أما تفاصيل الشريعة وجزئياتها فقد فصَّل بعضها، وأجمل غالبها، وإنما جاء الإجمال في القرآن بناءً على حكمة الله عزوجل والتي اقتضت أن تقوم السنة النبوية بتفصيل ذلك المجمل وبيانه.

وهذا هو ما قام عليه واقع الإسلام، وأجمعت عليه الأمة، ولنحتكم إلى العبادات التي أجملها القرآن حين تحدث عنها (صلاة، وصيام، وزكاة، وحج)، فأين نجد في القرآن هذا التفصيل الذي نقوم به في أداء هذه العبادات إلا في السنة على لسان رسولنا صلى الله عليه وسلم؟ كما في حديث البخاري: «صلوا كما رأيتموني أصلي»؟ وحديث حجة الوداع: «خذوا عني مناسككم»... إلخ.

والعجيب أننا نجد هؤلاء الذين أثاروا هذه الشبهة ضربوا بآيات كثيرة عرض الحائط، وهي الآيات التي تحثُّ على الالتزام بالسنة ووجوب اتباعها، كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران:٣١)، وقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (الحشر:٧)، وقوله: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور:٦٣)، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب:٣٦).

فادعوا في الآيات ما لا تحتمل، وظهر فساد تأويلهم لها، حتى الآيات التي استدلوا بها فواضح عند المفسرين فساد معتقدهم فيها، وبأنهم حمَّلوا الآيات ما لا تحتمل، ورجحوا في معناها الوجهات الخطأ التي أرادوها هم، وليس التي تنطق بها الآيات.

حكمة الله عز وجل اقتضت أن تقوم السنة النبوية بتفصيل مجمل القرآن.

فمن البدهيات التي يعلمها القاصي والداني: أن القرآن يفسِّر بعضه بعضًا، وأن آياته إنما يُفهم بعضها في إطار البعض الآخر، وأن تفسير بعض الآيات بعيدًا عن بقية الكتاب الكريم قد يكون خطأ يؤدي إلى محظور خطير في تفسير القرآن، وهو ضرب القرآن بعضه ببعض، ثم فصل الآيات التي يستدلون بها على فساد قولهم عن باقي آيات القرآن، ثم تحميلها ما لا تحتمل لتأكيد ما يذهبون إليه زورًا وبهتانًا.

فالقرآن الكريم جاء مجملاً في كثير من جوانبه وأحكامه، ومفصلاً في جوانب أخرى، وقد جاءت السنة فبينت المجمل ومفصله، وذلك مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٤٤).

هدانا الله وإياهم إلى الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وإلى لقاء آخر مع شبهة أخرى حول سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم وتفنيدها والرد عليها.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

سنة النبي صلى الله عليه وسلم وتشريع الصيام

إعداد/ د. أحمد منصور سبالك

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

لقد تكلمنا فيما سبق عن موقف المفكرين المعاصرين، الذين أنكروا السنة ولم يحتجوا بها، ولما جاء رمضان جاء في خاطري أن أتحدث معهم بسؤال: ماذا ستفعل في رمضان؟

فإن الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم في رمضان لبيان أقواله وأفعاله لهو الحديث عن تشريع الصيام بصفة عامة، وأعمال الرسول صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة.

وفي هذا الحديث بيان لقول الله تعالى: «وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ» (الحشر:٧)، فأفعاله صلى الله عليه وسلم هي المنهج العملي الواضح البيِّن الذي سلكه في تبليغ الدعوة، فإن أنكرت هذا فماذا ستفعل في رمضان؟!

السؤال قائم ويحتاج لجواب؛ لأن السنة هي التي بيَّنت تشريع الصيام، والصحابة رضي الله عنهم من بعده صلى الله عليه وسلم نهجوا نهجه من بعده، وساروا على دربه واقتفوا أثره.

فمثلاً عند البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في عام الفتح في رمضان خرج صلى الله عليه وسلم صائمًا والناس ما بين صائم ومفطر، حتى بلغوا منزلاً، فقال لهم صلى الله عليه وسلم: «قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم». فأفطر البعض وبقي البعض، فلما منزل منزلاً آخر ورأى أناسًا أجهدهم الصوم فأخذ قدحًا وشرب، وكان بعد العصر، وألزمهم فأفطروا لما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم أفطر.

وما كان ذلك إلا لأنهم يدينون لله تعالى بقوله تعالى: «لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (الأحزاب:٢١).

أما إذا تكلمنا عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ورمضان، فسنجد بيانًا كافيًا شافيًا للتشريع فيما يخص هذا الشهر الفضيل.

فمن المقرر أن تشريع الصيام في رمضان بدأ في السنة الثانية، حيث أنزل تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة:١٨٣)، حيث بدأ

الخطاب لعموم المؤمنين، ثم إلزامه بالصيام فيه تعميم وشمول حثًا للقيام بواجب الصيام، وختم الآية ببيان الغاية والنتيجة من هذا التشريع، مع العلم أن تشريع الصيام أخذ أطوارًا عديدة، المشهور والبيِّن منها ثلاثة أطوار:

الأول: أيامًا معدودات. قيل: الاثنين والخميس، وقيل: ثلاثة أيام من كل شهر، وقيل: ذكر الأيام المعدودات تخفيفًا وتهوينًا، وإلا فهي الشهر بنفسه.

والثاني: التخيير «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ» (البقرة:١٨٤)، فكانوا مخيرين بين الصيام أو الإطعام.

والثالث: الإلزام «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» (البقرة:١٨٥)، فلم يبقَ لهم خيار إلا في الرخص: «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ» (البقرة:١٨٤) أي: إن أفطر.

وعلى ضوء هذه الثلاثة لو قيل: قد سبق ذلك ما قدم الله به لتشريع الصيام في سنة محمد صلى الله عليه وسلم وهو صوم عاشوراء، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين: «أول ما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم عن صيامهم؟ فقالوا: يوم نجى الله فيه موسى من فرعون فصامه فصمناه، أي شكرًا لله. فقال صلى الله عليه وسلم: «نحن أحق بموسى منكم»، فصامه وأمر الناس بصيامه وجوبًا.

وفي غير الصحيحين زيادة معناها أنه حتى من كان قد أكل ألزمه بالإمساك بقية يومه. أي أن السنة وضعت منهجًا لتشريع الصيام في جهات عدة منها:

أولا: بيان ارتباط هذه الأمة بالأمم السابقة منها في طاعة الله تعالى.

ثانيا: تعظيم الأيام ذات التاريخ المشهور في نصرة دين الله، إذ فيه انتصار الحق على الباطل.

ثالثا: فرصة لتعريف اليهود بروابط الدين وكيف أن الأنبياء أبناء علات، دينهم واحد وربهم واحد والمشرع واحد، «لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» (البقرة:١٣٦).

رابعا: محل الفرض، وهو مقدمة الصيام ليتعود المسلمين على صيام الشهر ساعة إيجابه، والالتزام به على شكل جماعي لكل المؤمنين كما ورد في الخطاب.

ولذا شرع صيام عاشوراء أولاً ثم نسخ عنه الوجوب، ونزل إلى السنة، وهل الفرض: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» (البقرة:١٨٥).

ثم نأتي لشأن آخر وهو الكيفية، أي كيف يكون صيام الشهر؟ حيث كان يبدأ بالإمساك بعد أول نوم ينامه من الليل قبلها، أي بعد المغرب، وكان الأمر يشق عليهم، حتى وقع الرجل من أهل قباء ظل نهاره يعمل في مزرعته، فلما جاء إلى بيته بعد غروب الشمس، وذهبت زوجته لتأتيه بالإفطار، غلبته عينه فنام فلم يستطيع الأكل وواصل صومه إلى الغد، وفي الظهر أغمي عليه، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحزن لذلك.

وكان أيضًا يحرم عليهم طيلة رمضان مباشرة النساء، فغلبت رجلاً نفسه على امرأته، فجاء وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد الأمر، فجاءت الرخصة وجاء التخفيف كما ورد عند البخاري في الصحيح.

وأخذ شكل الصوم طورًا جديدًا في قوله تعالى: «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ» (البقر:١٨٧) إلى قوله تعالى: «وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا» (البقر:١٨٧).

والأمثلة التي تبين تشريعات الصيام التي كانت من السنة لا تحدُّها مقالة، لكن أردت أن أبين أن الصوم جُلّ أحكامه وردت في سنته صلى الله عليه وسلم.

فيا من تنكر سنة الحبيب المصطفى السؤال قائم: ماذا ستفعل في رمضان؟

أقف إلى هنا تاركًا القارئ الكريم يستعد لشهر الطاعة باستلامه، وذلك ليسلمه لربه على الوجه الذي يُرضيه عنه.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

مع الرسول صلى الله عليه وسلم في العيد

إعداد: د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، وأعاد علينا مثل هذه الأيام والأمة الإسلامية في خير وفضل.

لا يزال الحديث مستمرًا مع من يفكر في دين الله تعالى ويسمي نفسه «بالمفكر الإسلامي»، وأقول له:

متى يكون العيد عندكم؟

كيف هي شعائره؟

وأسأل هذه الأسئلة لأنه لما فكَّر في دين الله تعالى رفض سنة نبيه بدعاوى لا أصل لها، فوصل بتفكيره إلى إنكار أحاديثه صلى الله عليه وسلم، فلهذا وجب هذا السؤال، وغيره له ولمثله.

لاعتقادنا في سنة نبينا صلى الله عليه وسلم المتمثلة في صدق الأحاديث التي نُقلت ورُويت عنه صلى الله عليه وسلم، لكل هذا تتضح لنا شعائر العيد وتحدد، فمثلاً: أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بتحديد يوم العيد في قوله: «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»؛ ففيه بيان بأن يوم العيد، يوم الفطر، يكون برؤية هلال شوال، الذي ينتهي معه صيام رمضان، حتى وإن غمَّ علينا ولم نرَ الهلال؟ قال صلى الله عليه وسلم: «فإن غُمَّ عليكم فاقدروا له».

ووضح لنا صلى الله عليه وسلم طريقة التقدير كما روي ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا، يَعْنِي مَرَّةً تِسْعَةً وَعِشْرِينَ وَمَرَّةً ثَلَاثِينَ» (متفق عليه).

فالشهر إما ثلاثون ليلة أو تسع وعشرون ليلة.

وما كان من كل ذلك إلا ببيان وتوضيح لما أجمل في قوله تعالى: «يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ» (البقرة:١٨٩). فكيف نتخذ هذه الأهلة مواقيت؟ كانت الإجابة في سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم- كما وضحنا.

تعرفنا على يوم العيد؟ والسؤال: ما هي شعائره، وأقصد بالشعائر ما يُفعل في ذلك اليوم من أعمال، مثل: من أكل تمرات، ثم الخروج إلى مصلى العيد بملابس جديدة، ثم صلاة العيد بالهيئة المعروفة من ركعتين، ثم خطبة العيد، ثم التهاني فيما بيننا بيوم العيد، ثم الرجوع بطريق غير التي سلكها في الذهاب للمصلى، ثم زيارة الأهل والأقارب للتهنئة بالعيد.

حتى الحيَّض من النساء تحضر العيد في المصلى وتهلل وتكبر مع باقي النساء، ويعتزلهن عند الصلاة.

كل هذه المواسم والشعائر في هذا اليوم من أعلمنا بها؟

أتعجب ممن ينكرون أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويستمسكون بهذه الشعائر التي لو لم يطل بنا المقام لسردنا لك أيها القارئ الكريم الأحاديث التي تشير لهذه الشعائر، أتعجب من أولئك مع إنكارهم لأحاديث المصطفى التي تشير إلى هذا، ويفعلون هذه الشعائر فأنى لهم ذلك؟!

خلط عجيب بين ما يتفوهون به وبين ما يقومون به، فإن أفعالهم تدل على أنهم يهرفون بما لا يعرفون، ولذا تحدثنا في العدد الماضي عن شهر رمضان وفي هذا العدد عن شعائر العيد لنسأل هؤلاء: أين أنتم من سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم التي بيَّنت لنا أحكام الصيام وشعائر العيد، وغيرها من مجمل آيات القرآن الكريم؟

وإلى لقاء قريب نتناول فيه شبهة جديدة أوردها هؤلاء على سنة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

أسأل الله أن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

الحج في الفكر الإسلامي

إعداد/ د. أحمد منصور سبالك

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فإن الحج هو الذهاب لبيت الله الحرام بقصد فعل أعمال مخصوصة في فترة زمنية مخصوصة.

من طواف وسعي ومبيت بمنى، والوقوف بعرفات، ثم النزول بمزدلفة، ثم العودة مرة أخرى ورمي الجمرات، ثم الطواف والسعي والحلق أو التقصير.

وهذا كله يبدأ بالمرور بالميقات محرمًا.

ولما كانت دعوة إبراهيم عليه السلام: «رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ» (إبراهيم:٣٧).

جعل الله تعالى حبَّ البيت في قلوب الناس فطريًّا، فكل قلوب الناس تميل لزيارة البيت والذهاب للمناسك.

وللعلم يتمثل الإسلام في مناسك الحج وتظهر الصلة بينه وبين الحج بلا ريب؛ فالإسلام مناداة بالاستسلام التام لله تعالى فيما أمر، وفيما نهى، وهذا لأن الدين صلة بين العبد والرب ينتج عن هذه الصلة حقوق وواجبات.

وهذا يتضح في حديث معاذ رضي الله عنه لما كان رديف النبي صلى الله عليه وسلم، وسأله مرتين، «أتدري يا معاذ ما حق الله على العباد؟»، وفي المرة الثانية: «أتدري ما حق العباد على الله؟»، ولما كانت الإجابة كالتالي:

في السؤال الأول: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

وفي السؤال الثاني: أن يدخلهم الجنة.

فهذه العلاقة والصلة بين المسلم وبين ربه تسمى بالإسلام، وتظهر هذه الصلة ظهورًا جليًّا في الحج.

فإذا حججت فإنك لا بد أن تمر من الميقات وتلبي: لبيك اللهم لبيك عمرة متمتعًا بها إلى الحج.

ثم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك.

إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

وما هذا إلا تأكيد للاستسلام التام لله تعالى.

ثم تدخل من باب العمرة، وتستلم الركن اليماني وتقبِّله، ثم تجعل البيت على يسارك وتستلم الحجر الأسود وتقبِّله، وهنا نجد قول عمر رضي الله عنه: «إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك»، رواه البخاري.

استسلام تام لله رب العالمين.

ثم تبدأ طوافك بالبيت سبعة أشواط، وما البيت إلا غرفة فارغة، ومع ذلك لا يحق لك فعل هذا الطواف إلا هنا. استسلام تام لله رب العالمين.

ثم تذهب خلف مقام إبراهيم وتصلي ركعتي الطواف، مصداقًا لقول الله تعالى: «وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗى» (البقرة:١٢٥)، ثم تبدأ بما بدأ الله به في قوله: «إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ» (البقرة:١٥٨).

فتذهب للصفا وتستقبل البيت وتدعو، ثم تنزل إلى المروة وتفعل كما فعلت على الصفا، وهذا شوط في السعي تكرر هذا الفعل بين الصفا والمروة ستة مرات مع هذا الشوط ليصبح سبعة أشواط بين الصفا والمروة، يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة، هرولةً بين الاثنين.

ولا يحق لك فعل هذا إلا هنا.

استسلام تام لله تعالى.

ثم تحلق أو تقصر وتحل لك امرأتك وفي ضحى يوم التروية تذهب إلى منى وتخرج منها بعد صلاة الفجر إلى عرفة، وتمكث حتى المغرب ثم يفيض الحجيج إلى مزدلفة لصلاتي المغرب والعشاء وجمع الحصيات، ثم الراحة إلى الفجر، ويتوجه لرمي الجمرة الكبرى، ومع أنه قبَّل الحجر الأسود في أول المناسك وهنا يرجم الحجر، إلى أن يستكمل باقي مناسكه، ولا يفعل هذه الأمور إلا هنا.

استسلام الله تعالى.

فلو نظر الناظر من دخول مكة لأداء المناسك يجد أن الحاج أو المعتمر لا يفعل إلا تسليمًا لله تعالى في كل حركة وسكون امتثالاً لله تعالى.

فيأتي السؤال لكل من يدَّعي أنه صاحب فكر ثم يطعن في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم: من أين تعلمت مناسك الحج؟!

نسأل الله أن يفقهنا في ديننا، ويرزقنا حج بيته الحرام.

الخلاف.. أصوله وضوابطه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فقد تحدثنا أيها القارئ الكريم على مدار عام كامل تقريبًا عمن يزعمون أنهم أهل الفكر، وبيَّنا أن للفكر أصولاً وضوابط يجب على من يزعم ويدَّعي أنه مُفَكِّر أن يأخذ بهذه الأصول وينضبط بتلك الضوابط.

إعداد: د. أحمد منصور سبالك

وعليه؛ فمن يخرج عن هذه الأصول والضوابط لا فِكْرَ له، وهذا ينطبق على أغلب من يزعمون أنهم مفكرون إسلاميون؛ فلا أصول لهم ولا ضوابط في فكرهم ألبتة، وكانت النتيجة القدح في السنة النبوية وردها، ورد ما جاء فيها، وذلك بطعنهم في دواوين السنة المعتبرة عند أهل العلم الثقات وعلى رأسهم «الجامع الصحيح» للإمام العَلَم أبي عبد الله البخاري، رحمه الله.

وحتى لا يطول بنا الكلام فكرت أن نبدأ سوياً في مقالات نكتب فيها عن الفكر الصحيح، وعن ضوابطه، وأصوله.

ففي كل مرة سنختار موضوعًا نطوِّف حوله نبيِّن أطرافه ومراميه حتى ننتهي منه فندخل في غيره بإذن الله تعالى، وقد اخترت أن نبدأ بالحديث عن: «الخلاف.. أصوله وضوابطه».

ومن ثَمَّ ندخل في منظومة الخلاف بأطُرِها الأربعة؛ لنتعرف على كيفية التعامل مع الخلاف عند أهل العلم، وهذه المنظومة التي لها إطار عام من خلاله نتعرف على أصوله وضوابط الخلاف، وهذه الأطر الأربعة:

تصور الخلاف.. الحكم عليه.. الموقف من القول المخالف. وأخيرًا: الموقف من قائل هذا القول.

فهذه الأركان الأربعة من خلالها يكون الكلام على الخلاف كما ذكرت، والأهم كيفية التعامل مع هذا الخلاف.

وبهذا نصل إلى كيفية التفكير في مثل هذه القضايا، لكن من وجهة نظر أهل العلم ومصادرهم التي تركوها لنا، لا من وجهة نظر الهوى والأغراض غير السليمة، التي تقدح في الشرع الحنيف وتشكك فيه.

وللحديث عن هذه المنظومة سنسلك فيه الكلام من خلال مقدمة، وعشرة محاور، وسأذكرهم على سبيل الإجمال، ثم نفصِّل الكلام في كل محور على حدة بإذن الله تعالى:

المقدمة: «المسلمون أمة واحدة».

والمحور الأول: «مشروعية الخلاف، أو واقعيته».

المحور الثاني: «أسباب وقوعه».

المحور الثالث: «الشروط التي يجب توافرها فيه».

المحور الرابع: «الصفات الواجب توافرها في المخالف».

والمحور الخامس: «مدى وقوع التلفيق فيه وشروطه».

المحور السادس: «المسائل التي يقع فيها».

المحور السابع: «الصفات الواجب توافرها فيمن يرده».

المحور الثامن: «أقسامه وحكم كل قسم».

المحور التاسع: «ضوابط التعامل مع المخالف».

المحور العاشر والأخير: «الآثار المترتبة عليه».

فتلك عشرة كاملة نستطيع أن ندخل بها في منظومة الخلاف، والتي بها يعلم كل طالب علم قدره مع أقوال أهل العلم؛ لأنه بذلك يتسنى له معرفة كيفية وصول العلماء لهذه الأقوال.

فبإذن الله تبارك وتعالى نبدأ في المقال القادم في هذه السلسلة التي أسأل الله تعالى أن ينفع بها قارئها وكاتبها، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

مشروعية الخلاف

إعداد: د. أحمد سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

من نيروبي عاصمة كينيا الخضراء أكتب هذه المقالة، والتي عقدت العزم أن تكون- كما ذكرنا- عن (الخلاف أصوله وضوابطه)، وستدور هذه المقالات بإذن الله تعالى حول محاور عشرة:

المحور الأول: مشروعية الخلاف.

المحور الثاني: أسباب وقوع الخلاف.

المحور الثالث: شروط قبول الخلاف.

المحور الرابع: صفات مَن يُعتبر بقولهم في الخلاف.

المحور الخامس: التلفيق وواقعية الخلاف.

المحور السادس: أنواع المسائل الشرعية وأصلها بالخلاف.

المحور السابع: ما يجب عند الخلاف.

المحور الثامن: أقسام الخلاف وحكم كل قسم.

المحور التاسع: ضوابط التعامل مع المخالف.

المحور العاشر: الآثار المترتبة على الخلاف.

وليكون المراد على هذه المحاور العشرة بيان لكيفية الفكر ومجالاته عند المسلمين، لا الفكر المزعوم الهدَّام الذي يزعم صاحبه أنه صاحب فكر إسلامي.

فكلامنا في هذه الحلقة سيدور حول المحور الأول؛ ألا وهو: (مشروعية الخلاف).

اعلم أولاً أيها القارئ الكريم أن الله تعالى أودَع في قلب كل إنسان أنه يُدرك بها الصالح من الطالح، ألا وهي آلة العقل؛ حيث قال الله تعالى في آية الحج: «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا» (الحج:٤٦) الآية.

وجعل الله تبارك وتعالى هذه الآية مناط التكليف؛ حيث لا تكليف على مجنون، كما في الحديث: «رُفع القلم عن أمتي في ثلاث»..«رواه أبو داود(٤٣٩٨) والنسائي (٣٤٣٢) وابن ماجة (٤١-٢)». الحديث. منهم: «المجنون». فالمجنون لا تكليف عليه بالاتفاق، وحتى وإن كان جنونه في وقت محدد، ثم أنعم الله تعالى عليه بإزالة هذا الجنون، ففي الوقت الذي كان فيه على جنون لا تكليف عليه.

ثم لا بد أن نُدرك أن هذه الآية تتفاوت من إنسان لآخر، فليس بالضرورة أن تكون العقول واحدة، ما تفهمه أنت، قد لا أفهمه أنا، والعكس.

فالعقول متفاوتة حتمًا، ليست متساوية في الفهم، وما تعقله أنت، قد لا أعقله أنا، والعكس، فهذه الفطرة التي فطر الله تعالى عليها هذه العقول.

ولهذا كان التكليف على قدر الطاقة والاستطاعة، كما حكم رب العزة بقوله في هذه الآية: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» (البقرة:٢٨٦)، وفي موضع آخر: «إِلَّا مَا آتَاهَا» (الطلاق:٧).. وهكذا دواليك.

وهذا منطقيًّا صحيح؛ حيث القاعدة المنطقية تقول: «الحكم عن الشيء فرعٌ من

Upload by: altawhedmag.com

تصور الشيء».

فطالما تصور الأشياء يختلف؛ إذن الحكم عليها يختلف.

وهذا- اختلاف التصور- يكون حقيقة لأن كل من يسلك مسلكًا في التصور، يقول المناطقة: يتصور الناس الأشياء: إما عن طريق الحس، أو من طريق التخيل، أو عن طريق التعقل.

فكل منا يأتي بتصوره للشيء بالطريق الذي يسلك، فينتج الخلاف.

فأخرجها لنا قاعدة تقول: «حتمية الخلاف موجودة لتفاوت إدراك العقول». ولهذا صرحت النصوص بوجود الاختلاف، وأنه أمر فطري، كقوله تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» (هود:١١٨).

وكالنصوص التي وردت تحكي عن الخلاف بين صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم أجمعين، وقد عقد ابن القيم مقدمة أكثر من رائعة لكتابه الماتع «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، جمع فيها من مثل هذه النصوص والوقائع التي كانت بين الصحابة الكرام، وكيف تعاملوا معها في حياتهم، مما يجعلنا نقف مع هذه النصوص الواجب علينا تدبرها والعمل بها في حياتنا، لنتقبل الخلاف بضوابطه.

فنقف مثلاً مع حادثة عمار وعمر رضي الله عنهما حينما أصبحا الاثنين على جنابة واختلفوا في كيفية صلاة الصبح.

وخرج لنا من هذه الحادثة حكم التيمم الذي ندين به إلى قيام الساعة.

وأيضًا حادثة الخلاف على صلاة العصر في بني قريظة التي أخرجت لنا حكم الجمع بين الصلوات (الظهر والعصر)، وغيرها من الحوادث والوقائع التي أخرجت لنا أحكامًا فقهية نتعبد بها، بل وجعل الإجماع ينعقد على قبول قدر من الاختلاف الذي وقع آنذاك إلى اليوم بل وإلى قيام الساعة.

فحتمية الخلاف واقعة لفطرية المختلفين- كما بينا- ولهذا فالأصل أن المختلفين عليهم تقدير ذلك والبعد عن التعصب والنصرة للنفس والهوى.

فعندما دخل الشافعي مصر وكان المذهب السائد فيها مذهب المالكية، حدث خلاف بينه وبين أئمة المذهب (يونس الصفدي)، على مسألة: لمس المرأة ينقض الوضوء أم لا؟

فالشافعي يرى أنه ينقض، والثاني لا يرى ذلك. ومع أن الراجح مع الثاني إلا أن انتصاره لنفسه جعله يترك المجلس وينصرف فذهب له الشافعي؛ لأن الأخوة أقوى من الخلاف، وذكرهً بذلك.

ولهذا أقول دائمًا: إن علم الخلاف والكلام، فيه يُورث الألفة بين المسلمين، لا كما نرى الآن أنه يورث العداء والشقاق بينهم، فأصبح سببًا في تقطيع الأواصر والبغض الشديد المُنافي للدين، فأصبحنا به أكثر تشرذمًا من السابق، فاستغله العدو ليضرب وحدة المسلمين في كل مكان، فلا بد أن نعقل أن فطرية الخلاف أمر حتمي واقعي؛ لاختلاف الآلية التي نُدرك ونفهم بها، آلية الإدراك: العقول.

فاختلاف العقول يؤدي إلى اختلاف المعقول.

وطالما العقول متفاوتة فالمعقولات متفاوتة.

جعلنا الله وإياكم من المتحابين فيه، وإلى لقاء في المقال القادم إن شاء الله، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

Upload by: altawhedmag.com

الخلاف وأصوله

أسباب وقوع الخلاف

الحلقة الثانية

إعداد: ا.د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

في المقال السابق تكلمت عن مشروعية الخلاف، وبيَّنت أن الخلاف أمرٌ فطري، لا محالة واقع ولا بد منه.

لكن السؤال: كيف نختلف؟ وكيف نتعامل مع الخلاف؟

الخلاف قد يأخذ منحى آخر غير المعتاد عند أهل العلم والسلف الصالح.

حيث إني ما رأيت أحدًا يختلف مع آخر إلا ويتحول إلى بغض وشقاق شديدين، في الغالب إلا ما نَدُر.

ولهذا قصدت الكلام في محوري الثاني الذي أطلقت عليه عنوان: أسباب وقوع الخلاف؛ وذلك حتى نكون على بينة من أمر الخلاف، لماذا يقع في الأصل؟ وإذا سألنا هذا السؤال للشريعة الغراء، سنجد الإجابة واضحة جلية بأنها تقول لنا:

الأسباب نوعان:
أسباب عامة، وأسباب خاصة.

أولاً: الأسباب العامة:

إن الناظر إلى شريعتنا يجد من الأمور التي قد تكون سببًا في الخلاف بلا خلاف، والتي هي بمثابة الإجابة عن السؤال في أمور:

أولا: عمق الشريعة، وكثرة تخصصاتها، وترابطها ببعضها وشدة تعلقها ببعض

فمن المقرر أن علوم الشريعة تتنوع؛ منها علوم اللغة العربية التي عدَّ السيوطي منها في كتابه «المزهر في علوم اللغة»، نيفًا وأربعين لونًا، ومن علوم الشريعة أيضًا الفقه وأصوله وما يتعلق بها، وقد وُضع في الموسوعة الأوروبية على سبيل المثال- علم أصول الفقه خاصة من أصعب العلوم وأجدرها من بين العلوم التي تدرس في الجامعات عمومًا.

ومن علوم الشريعة أيضًا: علوم القرآن والتفسير والقراءات، وما يتعلق بهم.

ومن علوم الشريعة أيضًا: العقائد والمذاهب والأديان.

ومن علوم الشريعة أيضًا: علوم الحديث النبوي الشريف وما يتعلق به.

ومن علوم الشريعة أيضًا: السيرة النبوية والتاريخ والحضارة، وغير ذلك من العلوم التي لها صلة- من قريب- أو من بعيد بهذا الشرع الحنيف.

ولا يخفى على شريف أن ترابط هذه العلوم والاجتهاد فيها مع وجود لكل منها أصوله وفروعه، يُعطي عمقًا لهذه الشريعة يتمثل في ترابط هذه العلوم بعضها ببعض.

وقد أدرك علماؤنا الأجلاء ذلك قديمًا، فكتب الإمام الزركشي في برهانه بابًا بعنوان: «ما يحتاجه المفسر من أصول الفقه»، وقد تجد مثل هذا الترابط بين علوم الشريعة كثيرًا.

ولهذا فإن عمق الشريعة مع كثرة تخصصاتها وترابطها ببعض، قد يكون سببًا في وقوع الخلاف.

الأمر الثاني: التفاوت الطبيعي بين الناس في العقول، والمدارك والتخصصات والاهتمامات

فقد بينا في المحور السابق- كما ذكرنا- أن الاختلاف أمر فطري؛ لما كان من طبيعة آلة الإدراك التي أودعها الله تعالى في صدور خلقه، فأما إن كانت هذه الآلة متفاوتة بين

الناس، كان من الطبيعي أن ما تدركه هذه الآلة أيضًا متفاوت.

وهذا مما لا شك ولا ريب فيه.

الأمر الثالث: التفاوت في تصور الوقائع والأعيان:

من الأمور المسلمة البدهية أن ما ذكره المناطقة في قولهم: «الحكم عن الشيء فرع عن تصوره».

فمتى أراد إنسان أن يحكم على أمر لا بد أن يتصور هذا الأمر، وإلا فحكمه خيالي لا وجود له.

فمتى كانت آلة الإدراك متفاوتة في إدراكها، وجاءت لتتصور أمرًا ما، طُلب منها إبداء الحكم عليه، فلزم أن يكون ثمة اختلاف في هذا الحكم الذي ما نتج إلا عن اختلاف في تصور هذا الأمر.

الأمر الرابع: الهوى والتعصب، والجهل بطرق الاستنباط والتأويل البعيد

فمن الأمور التي كانت ولا تزال سببًا رئيسًا في الخلاف الهوى والتعصب في الرأي دون الآخر، وقد أدى لذلك جهل المتعصب بطرق الاستنباط، مما جعله يتمسك برأيه، ويظن أن الصواب كل الصواب فيه، وما عداه باطل لا صحة ولا صواب فيه.

وأيضًا هذا الجهل يؤدي به إلى تأويل بعيد- أحيانًا- لنصوص الشرع الحنيف، فجمع هذا المتعصب بين آفات شتى وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «إذا رأيت هوى متبعًا، وشحًا مُطاعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بخاصة نفسك».

حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم: «فليسعك بيتك».

فآفات كثيرة أدت إلى اختلاف عظيم.

الأمر الخامس: مخالفة الأدلة القطعية التي لا لبس فيها

من الأمور البدهية أن الإنسان إذا اجتمع فيه الهوى والجهل والتعصب وحب التمسك بالتأويلات السابقة، قد يؤدي به هذا إلى مخالفة الأدلة القطعية التي لا لبس فيها ولا تقبل الآراء المتعددة، بل ليس لها إلا رأي واحد، لكن بجهله وتعصبه هذا جعل لها آراء متعددة.

ثالثًا: الأسباب الخاصة التي جعلت الخلاف واقعًا:

وهذه الأسباب هي مناط الحديث عنها عند أهل التخصص لهذا لا أفصل فيها القول كثيرًا؛ لأنها تخص أهل الذكر، فمثلاً تكلمت فيها مرة في محاضرة لقسم الدكتوراه في إحدى الجامعات العربية فقام الشباب بتفريغ مادتها وطباعتها في كتاب وسميته: «أعذار الفقهاء».

فمن أسباب الخلاف بين الفقهاء أو العلماء وأهل الذكر وهي:

أولاً: عدم وصول الدليل:

من المعلوم أنه قد لا يصل الدليل لأحدهم ويصل للآخر، فالأول لا استدلال له، والثاني يستدل.

وقد وقع هذا بين كبار صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث أن أبا موسى الأشعري طرق الباب على عمر بن الخطاب في خلافته، وكان يصلي فلم يجبه مرة، ومرة، ومرة، وفي كل مرة يقول: أبو موسى، ثم انصرف بعد الثلاثة، ولما انتهى عمر من الصلاة تلمسه وسأله عن سبب انصرافه فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: استأذن ثلاثًا وإلا انصرف، فقال له عمر: إن لم تأتني بمن سمع معك هذا الحديث لأوجعتك ضربًا.

فأسرع أبو موسى إلى المسجد وقصَّ الأمر على جماعة منهم أبي بن كعب فقال له: على رسلك يقوم معك أصغرنا وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنهم جميعًا. رواه مسلم.

فهذه الواقعة تثبت أن دليلاً لم يسمعه عمر، وسمعه أبو سعيد الخدري، فلا مانع أن يصل الدليل لعالم، ولم يصل لعالم آخر.

ثانياً: وصول الدليل مع اعتقاد نسخه:

أي قد يصل الدليل للعالم لكن يعتقد أنه منسوخ، وعليه لا يستدل به، بينما عالم

آخر لم يعتقد ذلك فيستدل به، فيحدث الخلاف بين الاثنين.

ثالثاً: وصول الدليل مع اعتقاد كونه ضعيفًا:

أي قد يصل الدليل للفقيه ويضعفه ولا يقوى عنده أن يكون دليلاً ينبني عليه حكم شرعيّ ثابت، وبالعكس فقيه آخر ليس الدليل عنده ضعيفًا بل قويًا فيستنبط عليه حكمًا فينشأ الخلاف.

رابعاً: نسيان الدليل من الأصل:

من المقرر أن النسيان أمر جِبلي فطري، فقد يصل الدليل للفقيهين معًا لكن أحدهما قد ينساه فلا يترتب على ذلك حكم عند الناسي، والعكس مع الذاكر؛ فينشأ الخلاف.

خامساً: وصول الدليل مع الاختلاف في دلالته:

وهذا يعني أنه قد يصل الدليل للفقيه العالم، لكنه لا يجد دلالة فيه على الحكم، فلا يقول به، وعالم آخر يرى أن في الدليل دلالة على الحكم.

وقد بينا فيما سبق أن تفاوت العقول يؤدي إلى تفاوت المعقول، وهذا فطري لا غضاضة فيه.

آخرها: ترتيب الأدلة:

معلوم عند أهل الاختصاص أن الأدلة من حيث الحجية تنقسم إلى قسمين: متفق عليها، ومختلف فيها.

فالأول: القرآن والسنة والإجماع (خلافًا للخوارج)، والقياس (خلافًا للظاهرية).

والثاني: قول الصحابي، والعرف، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وشرع من قبلنا، وسد الذرائع، ومراعاة الخلاف (عند المالكية)، ومذهب أهل المدينة (عند المالكية أيضًا).

وأقل ما قيل (عند الشافعية)، والاستدلال.. إلخ.

وهذه الأدلة كل من الأئمة يرتبها على حسب الدلالة التي تظهر له فيها، فمثلاً:

نجد الحنابلة يقدمون قول الصحابي على القياس، والمالكية يقدمون مذهب أهل المدينة، وأهل الرأي يقدمون الاستحسان والمصالح عن غيرها من الأدلة.

وهذا التقديم يكون من بابين عند أهل العلم:

درجة وصول الدليل، وبيان الدلالة فيه.

ولهذا زاد بعض أهل العلم أسبابًا للخلاف خاصة بالدلالة على الحكم، وجعل السابقة هذه خاصة بالدليل، فقال في الأسباب الخاصة بالدلالة على الحكم مثلاً:

أولاً: الاختلاف في قواعد تفسير النص:

فهذه القواعد التي اتخذها العلماء في آلية تفسير النصوص وتأويلها يستخدمها عالم بخلاف الآخر.

ثانيًا: الاختلاف في بعض الأصول والمصادر.

وهذا في استخراج الدلالات من النصوص.

وثالثًا: الاختلاف في الوارد فيما سكت عنه الشارع ولم يرد فيه نص من الأصل.

ورابعًا: الاختلاف الذي نشأ بسبب تعارض الأدلة في الدلالات.

فقد تكون دلالة أقوى وأخرى ضعيفة عند أحدهم والآخر العكس.

وأخيرًا: الاختلاف الوارد بسبب المصطلحات والمبادئ الفقهية عند كل فقيه.

فكل عالم له مصطلحات التي تمثل معطياته في الاستنباط والتي عليها يبني هذا الفقيه خروج الحكم عنده، وهذه تختلف من عالم لآخر.

هذا، وأعتذر للإطالة هذه المرة، لكن عسى أن يكون فيها إفادة، فأقل ما أبتغيه إن لم يرفع الخلاف أن ينشأ بيننا الود والمحبة، وأن يزيد هذا الخلاف بيننا الترابط والتماسك، وأن نعتقد بأننا في دائرة واحدة طالما أن الخلاف مقبول.

جعلنا الله وإياكم من المتحابين فيه، والى لقاء آخر، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

الخلاف وأصوله

الحلقة الثالثة

إعداد: د. أحمد سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

موعدنا مع المحور الثالث في منظومة الخلاف، التي ذكرنا أن لها عشرة محاور رئيسة تتكون منها المنظومة.

والمحور الثالث يأتي بعد مشروعية الخلاف، والكلام عن أسباب وقوع الخلاف، وسيكون هذا المحور حول:

الشروط التي يجب توافرها في الخلاف:

وأعني بالشروط أنه: متى يكون الخلاف مقبولاً؟

ولهذا سيحدد الكلام في هذا المحور حول: شروط قبول الخلاف.. فكما هو معلوم أن كل مخالف يدعي أن خلافه مقبول، فيدافع عنه، حتى يظن أنه يمكنه أن يزع الآخرين على قبول هذا الخلاف.

ومما لا شك فيه أيضًا أن الخلاف منه المقبول ومنه المردود، ولهذا وضع أهل العلم شروطًا لوجود هذا الميزان الذي من خلاله يقبل ويحكم على الخلاف أنه مقبول أو مردود.

وأول هذه الشروط: أن يكون القول المخالف صادرًا من عالم.

ولهذا لا يقبل الخلاف ممن دون العلماء، ولا يُعتبر بقولهم، ولا يُلتفت لخلافهم، فهم ليسوا بأهل للخلاف أصلاً، فدخولهم في الخلاف لا يكون مسوغًا لقبول أقوالهم، فلا علم لهم بالدليل ودلالته ولا الأحكام التي تبنى عليه، فكيف نجعل لأقوالهم وزنًا وهم لا وزن لهم في العلم ولا بين أهل العلم.

وثاني هذه الشروط:

ألا يكون القول المخالف مخالفًا لدليل ثابت، ودلالة ثابتة عند سلف الأمة.

وهذا الشرط -بالأمر المُسلَّم به- مبنيّ على الشرط السابق؛ لأن أهل العلم هم أهل الدليل ودلالته، فهم أعلم الناس بالأدلة ودلالتها والأحكام التي تبنى عليها.

فإذا خالف سيكون خلافه خارجًا عن كونه معارضًا لدليل ثابت أو دلالة ثابتة.

وثالث هذه الشروط:

ألا يكون القول المخالف مخالفًا لإجماع قطعي صحيح، وهذا يثبت أنه ينبغي على المخالف العلم بالمواطن التي عليها إجماع عند أهل العلم، ومن ثَمَّ لا يتسنى له مخالفتهم.

ورابع هذه الشروط:

ألا يكون القول المخالف بعيدًا عن أقوال أهل

العلم، ومن بدهيات الفقه أن على الفقيه أن يكون على علم بأقوال السلف والأئمة المتبوعين في المسألة التي سيتكلم فيها، ومن ثَمَّ إذا أراد أن يرجح بين أقوالهم، لا يخرج عنها، بل يرجح بينها ولا يأتي بجديد لم يُسْبَق له في المسألة، لا سيما وقد تكلم فيها السلف من قبله.

وآخر هذه الشروط:

أن يكون خلافه معتبرًا بالأدلة ودلالتها.

أي عليه أن يُدلل على ما ذهب إليه، ويوضح كيف وصل إلى هذا الحكم، فإما أن يكون صادرًا عن دليل ثابت من قرآن أو سنة، أو استند فيهما لإجماع مضى عليه سلف الأمة.

بهذه الشروط يدخل المخالف في منظومة الخلاف، ويكون خلافه سائغًا مقبولاً، يجلس به على منضدة الخلاف، ويصح لمن بعده نقل خلافه على أنه معتبَر بين أهل العلم.

ومن المشاهد أن القَوْل كله على صاحب الرأي المخالف، مما يؤدي بنا إلى أن نتكلم عن محور آخر من المحاور العشرة في الخلاف ألا وهو المحور الرابع في منظومة الخلاف: من يُعتبر بقوله في الخلاف؟

أي: ما هي أهم صفات مَن يُعتد بقوله في الخلاف؟

وقد ذكرنا في المحور السابق في أول الشروط: العالم فمن هو العالم المعتبر بقوله في منظومة الخلاف؟

العالم ضد الجاهل

ولما كان الجاهل من الجهل، والجهل جهلان: بسيط ومركب.

فالأول وهو البسيط: هو عدم إدراك حقائق الأشياء.

والثاني وهو الأعم: هو إدراك الأشياء على غير حقائقها.

فالعلم علمان: ضروري ومكتَسب.

فالضروري: هو ما يُدرَك بلا جهد ونَصَب.

والمكتسب: هو ما يحتاج في تحصيله إلى جهد ونصب.

ولهذا فعلم الفقه والعالم بأحكامه وأدلته يدخل في النوع الثاني؟ يحتاج إلى كسب وجهد وتحصيل لإدراكه.

ولهذا نُسب إلى علي رضي الله عنه في شرح إحياء علوم الدين للغزالي والشارح هو الناسب للإمام الزبيدي، قوله في فضل العلم والعلماء

ووزن كل امرئ ما كان يُحسنه

والجاهلون لأهل العلم أعداء

وبالعقل وزن العالم بما هو مُحصَّل من العلم، ومن هذا جاز التقسيم المعتاد عند الأصوليين: (المجتهد- المقلد).

فالأول: هو من استنفذ قصارى جهده لتحصيل حكم شرعي وعمل به.

والثاني: هو من قلَّد أحكام غيره وعمل بها.

فالمجتهد هو: من بذل قصارى جهده لتحصيل حكم شرعي، وبذل قصارى الجهد في الدليل والدلالة بالآلية المعروفة عند أهل العلم والتي تسمى: الاجتهاد.

ولهذا نقول: صفات مَن يُعتد بقوله في الخلاف:

أولاً: العالم المجتهد.

أما الصفة الثانية: صاحب الدين.

والمقصود بها الفقيه الورع، المتَّبع لا المبتدع، السائر على درب السابقين من أهل العلم، الذي نرى أثر علمه على نفسه.

وزاد أهل العلم صفة ثالثة فقال: له منهج في الاعتقاد معروف بين أهل العلم به.

أي له طريقة في الاستدلال يصل بها إلى الأحكام الشرعية، بشرط ألا يخالف بهذه الطريقة ما أجمع عليه أهل العلم والسلف الصالح.

فمتى أفتى أو أخرج لنا حكمًا نستطيع أن نقول: إن قوله خرج موافقًا لطريقة استدلاله، فلا يكون هناك ثمة تناقض بين فتواه وبين طريقة خروج هذه الفتوى.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

حُسن الخُلق مع الصائمين في رمضان

إعداد أ. د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فحُسن الخلق بكل تأكيد يتمنى أن يكون عليه الموافق والمخالف، ومَن منا لا يحب أن يكون على خُلق حَسَن؟!

فـ«الخُلق» كلمة تطلق في اللغة على الخُلق الحسن، أما السيئ منها فتكون مقيدة، كقوله: «خُلق سيئ».

والخُلق: هو ذاك الطابع الذي يخرج من الإنسان عندما يتعرض لإخراجه دون أن يفكر: هل يُخرجه أم لا؟!

فإذا تعرض الإنسان إلى أن يكون كريمًا، وأخذ يفكر في هذا، فلا يكون في أصله الكرم.

ومعلوم أن الخلق وسط بين رذيلتين، فالكرم وسط بين البخل والإسراف، وكذلك الشجاعة وسط بين الخوف والجبن وبين التهور، وهكذا في كل الأخلاق.

ومعلوم أيضًا أن الأخلاق خامس خمسة الثوابت لهذا الدين. (الأصول العقائدية والفرائض الركنية والأحكام القطعية، والمقاصد الكلية، والأخلاق المحمدية).

وأطلق العلماء سلفًا كلمة «المحمدية» على الأخلاق مع أننا نجد الأخلاق موجودة في سيرة من كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن الله تعالى مدحه بأخلاقه صلى الله عليه وسلم بقوله: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (القلم:٤).

والأخلاق الحسنة موجودة فيمن كانوا قبله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه صلى الله عليه وسلم بيَّن ذلك في قوله: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

والمتمم: هو من جاء فوجد نقصًا فأكمله، أو جاء بغير ما كان عليه السابقون فأقره.

ولهذا لا عجب أننا نرى كتابًا للربيع بن سليمان المرادي، تلميذ الإمام الشافعي وراوي مصنَّف الرسالة له ومصنف الأم، يكتب كتابه الذي عنونه بقوله: «مناقب أبي جهل»، وذكر في مقدمته أن سبب تأليفه بُعد الناس- في وقته- عن الأخلاق، والكتاب موجود منه نسخة في دار الكتب المصرية، ولا أعلم لو بُعِثَ الربيع بن سليمان اليوم فماذا سيكتب؟!

ولما كان من قبل النبي صلى الله عليه وسلم على أخلاق تُحمَد لهم؛ أقر أهل العلم الآتي:

أمران لا يُسأل فيهما عن ديانة: «الجار والخُلق».

فنحن الآن في أمس الحاجة إلى خلق حسن، نتمنى به المجاورة في الآخرة للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم حيث قال: «أقربكم مني منزلاً الموطئون أكنافًا، أحسانكم أخلاقًا».

فالأخلاق سمة لا بد أن يتحلى به المسلم في كل وقت مع كل أحد، وهذا هو خامس الثوابت، والتي منها الأخلاق، فهي ثابتة في كل زمان ومكان، ولا تتغير بتغير العوائد والأشخاص والأزمنة والأمكنة.

فإذا كان هذا هو حال المسلم في كل وقت، فما بالكم بحاله في رمضان؟

فمن المقرر أن شهر رمضان هو شهر فرصة يعطيها الله تعالى لعباده، وهذه الفرصة ما تكون إلا لزيادة ميزان المسلم من صيام وصلاة وبر وصلة وحسن خلق.. إلخ.

ومن الأمر البدهي المُسلَّم به أن المسلم طالما هو مأمور بأن يكون على حُسن خلق في غير رمضان، فلا بد أن يكون في رمضان من باب الأولى حَسَنَ الخلق.

فلا يزيد الصيام المسلم إلا حسن خُلق يتحلى به في رمضان

ولهذا من المفترض أن يضرب المثل بخلق الصائمين، فلا بد أن يكون الصيام مدعاة لحسن الخلق.

جعلنا الله وإياكم من أصحاب حسن الخلق في رمضان وغير رمضان.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه

والحمد لله رب العالمين.

مسائل الدين وصلتها بالخلاف

إعداد: د. أحمد منصور سبالك

تكلمنا فيما سبق عن مشروعية الخلاف وأسبابه وشروطه، ومع من نختلف؟ ومتى يسوغ لنا ذلك؟

وتكلمنا أيضًا عما يُسمَّى بالتلفيق الفقهي وصلته بعلم الخلاف، وأنواع الخلاف.

ويبرز هنا لنا سؤال: هل كل المسائل يسوغ لنا فيها الخلاف؟

هذا سيكون المحور السادس من منظومة الخلاف، وهو:

مسائل الدين وصلتها بالخلاف:

وقبل البدء في هذا المحور يجب علينا توضيح كيف تتبلور لنا مسائل الدين وتُحَدَّد؟!

من المقرر أن مسائل الدين تتبلور وتتحدد بطريقين:

الأول: الدليل.

الثاني: دلالة الدليل.

فالأول: الدليل: الذي يدل ويرشد إلى الحكم المطلوب في المسألة.

والثاني: الدلالة: وهي الأمر الثاني في استنباط الحكم المعني والمراد.

فبالدليل والدلالة تُستنبط الأحكام للمسائل الشرعية، ويظهر حكم هذه المسائل.

ودرج عند العلماء في ثبوت الدليل ووصوله قواعد تُتَّبَع لاختيار الدليل الذي يُرشد على حكم المسألة، فبتتبع هذه القواعد، يثبت الدليل ثبوتًا قطعيًا أو ظنيًا.

والقطعي: هو الذي لا ريب فيه، والظني: غير ذلك.

وكذلك الأمر في الدلالة، فهناك قواعد يصل من خلالها العلماء إليها وتثبت بها، إما ثبوتًا قطعيًا لا شك فيها، وإما ثبوتًا ظنيًا، قد يتطرق لها الكثير من الكلام.

فيقولون: دليل قطعي، ودليل ظني.

دلالة قطعية، ودلالة ظنية.

وحاصل قولهم هذا أن الدليل من حيث ثبوته إما أن يكون ثبوته قطعيًا لا شك فيه، أو ظنيًا فيه نظر.

وكذلك الدلالة إمَّا أن تكون دلالة قطعية أو دلالة فيها نظر، وتسمى دلالة ظنية.

وعليه: يُقسِّم أهل العلم المسائل إلى:

القسم الأول: المسائل القطعية:

وهي التي تثبت بدليل قطعي ودلالة قطعية، ويُقال عنها: قطعية الثبوت قطعية الدلالة.

القسم الثاني: المسائل الظنية:

وهي التي تثبت بدليل ظني، ودلالة ظنية، ويُقال عنها: ظنية الثبوت ظنية الدلالة.

القسم الثالث: المسائل القطعية الظنية:

وهي التي تثبت بدليل قطعي، ودلالة ظنية، ويقال عنها: قطعية الثبوت ظنية الدلالة.

القسم الرابع: المسائل الظنية القطعية:

وهي التي تثبت بدليل ظني، ودلالة قطعية، ويقال عنها: ظنية الثبوت قطعية الدلالة.

وزاد البعض قسمًا خامسًا: المسائل غير المنصوص عليها:

وعلة هذه الزيادة عند من زاد أن غايتها أمور:

الأول: تأكيد مشروعية الاجتهاد.

الثاني: مواكبة الوحي للنوازل، وهو المعني به: حصر التناهي (الوحي) للامتناهي (المستجدات).

الثالث: تضييق دائرة الأوامر والنواهي في حياة المكلفين.

والخلاصة، لو نظرنا إلى ما سبق، سنجد أنه تقسيم لمسائل الدين، ويبقى السؤال قائمًا:

ما الصلة بينها وبين الخلاف؟!

هذا يجرنا إلى سؤال آخر: هل كل تلك الأقسام يسوغ فيها الخلاف؟

ويكون مقبولاً عند أهل العلم، وصح هذا السؤال مع القاعدة المشهورة القائلة: لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

ونرجع ونسأل: أي الأقسام السابقة محل اجتهاد؟

أيها القارئ الكريم: اتفق العلماء على أن القسم الأول من المسائل وهو المعروف بالمسائل القطعية؛ قطعية الثبوت قطعية الدلالة، رُبع مسائل الدين- كيفًا لا كمًا، وخمُسه عند البعض، مسائل لا تقبل الاجتهاد وذلك لأنها قطعية في ثبوت أدلتها، وقطعية في ثبوت دلالتها عليها أيضًا.

فلا محل للاجتهاد فيها؛ لذلك لا يَسُوغ ولا يُقبل.

أما باقي الأقسام فقد يدخل فيها الاجتهاد إما في ثبوت أدلتها أو في ثبوت دلالتها، فهي تقبل الاجتهاد بلا خلاف.

فإذن: إذا أردنا إيقاع وتنزيل القاعدة السالفة الذكر- لا إنكار في مسائل الاجتهاد- لا نطبقها إلى القسم الأول من المسائل.

ومعنى ذلك أن الخلاف في باقي أقسام المسائل مقبول على ما مرَّ بنا من محاور سابقة في شروط الخلاف وخلافه، ولا يكون الأفكار إلاَّ من خالفنا في القسم الأول فقط- المسائل القطعية- التي تثبت بدليل قطعي، ودلالة قطعية.

وباقي المسائل يقبل فيها الخلاف، والمخالف أيضًا، ولا مجال أن ننكر عليه في مسائل من مسائل هذه الأقسام.

ومن هنا كان السبب الذي من أجله قسَّم العلماء الخلاف إلى نوعين من الخلاف، وهذا هو المحور الثامن من محاور الخلاف.

المحور الثامن: تقسيمات الخلاف وأنواعه:

مما سبق عند ذكر أقسام المسائل التي يكون فيها الخلاف يظهر أن هناك نوعين من الخلاف:

النوع الأول: الخلاف غير السائغ:

ويطلق عليه الخلاف غير المقبول، وهو الخلاف في أمور القطعيات، أو في المسائل قطعية الثبوت قطعية الدلالة، ولهذا حكم العلماء على هذا النوع بالحرمة، فلا يقبل عندهم الخلاف في المسائل القطعية ولا يسوغ، ويُنْكر فيه على المخالف.

النوع الثاني: الخلاف السائغ:

ويطلق عليه الخلاف المقبول، وهو الذي يكون في المسائل غير القطعية، ولهذا حكم العلماء عليه بأنه خلاف مقبول جائز ليس بمحرم، ولا يُنْكر فيه على المخالف، ويُقبل قوله إذا وافق شروط قبول القول المخالف.

ويسع فيه أهل العلم بعضهم بعضًا، ويتكلمون فيه بغية الوصول إلى الحق فيه.

هذا، وقد قسَّم العلماء الخلاف بعدة اعتبارات:

- فمنهم من قال باعتبار الحكم عليه ينقسم إلى: جائز ومحرم.

- ومنهم من قال باعتبار حقيقته ينقسم إلى: تنوع وتضاد.

- ومنهم من قال باعتبار ثمرته ينقسم إلى: لفظي ومعنوي.

- ومنهم من قال باعتبار استقراره ينقسم إلى: ثابت ومتغير.

وخلاصة الأمر: أردت أيها القارئ الكريم أن أقول لك ما ذكرته في بداية هذه المقالات: «علم الخلاف يُورث المحبة».. أن لا بد أن يتسع الصدر للمخالف، وأن تختلق له الأعذار طالما كان خلافه مقبولاً وسائغًا، ولا نفترض دائمًا أننا على الصواب والمخالف على الخطأ، ونفترض في قولنا العصمة، وقول غيرنا غير ذلك، فهذا لا يليق بمن يجاور الكتاب والسنة وبالأخص من أراد تعلُّم علومهما.

وبإذن الله تعالى نلتقي معًا في مقالة قادمة، ونتكلم عما تبقى من محاور منظومة الخلاف، وهما محوران:

الأول: الآثار المترتبة على الخلاف، وهو المحور التاسع في المنظومة.

الثاني: ضوابط التعامل مع المخالف، وهو المحور العاشر في المنظومة.

اللهم ارزقنا علمًا نافعًا وعملاً متقبلاً، وكل عام وأنتم بخير، أعاد الله عليكم الأعياد أعوامًا مديدة، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

مسائل الدين وصلتها بالخلاف

الحلقة الثالثة

إعداد: أ. د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

كما ذكرنا في المقال السابق أنه بقي لنا محوران في حديثنا الذي بدأناه هذا العام على منظومة الخلاف.

المحور التاسع وهو: الآثار المترتبة على الخلاف.

والمحور العاشر والأخير: ضوابط التعامل مع المخالف.

وسيدور بحول الله تعالى وقدرته ومنّه وكرمه الكلام هذه المرة حول محور: الآثار المترتبة على الخلاف:

ولما نظرت في هذا المحور وجدت أن هذا المحور ينقسم إلى قسمين:

الأول: الآثار الإيجابية للخلاف.

الثاني: الآثار السلبية للخلاف.

فأما القسم الأول سنبدأ به كلامنا ونقول أولاً: معلوم أن الأثر تبع ما ترتب على وجود الشيء، ومنه قوله تعالى في الكهف: «فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا» (الكهف:٦٤).

فالغاية من تحديد الآثار المترتبة على الخلاف هو ما يترتب على هذا الخلاف، وما يكون، وهذا الذي ينقسم على إيجابي وسلبي، أي: آثار إيجابية، وآثار سلبية.

فإذا تكلمنا أولاً على الآثار الإيجابية يكون من الجدير بالذكر أن كل الآثار الإيجابية يمكن جمعها في أثر واحد، وهو: مُراعاة الخلاف.

وعندما نتحدث عن مراعاة الخلاف، يجب أن نعلم أن في طبقات هذا العنوان أمورًا كثيرة جدًا؛ منها على سبيل المثال: قبول الخلاف، وقول المخالف، واعتباره في دائرة الشرع الحنيف، والأهم الآن: قبول صاحبه.

ولو تتذكر أيها القارئ الكريم في أول مقالة في هذا الباب أخبرتك بأن علم الخلاف ينشأ المحبة، إن تقبل من تخالفه ويقبلك من أنت مخالف له تكون أخوة في الله متحابين.

وهذا قد يزيل اللبس عند الاستغراب الذي ينشأ من البعض عندما يعلم بالخلاف بين الموجود بين مالكي وشافعي أو حنفي وحنبلي، أو ما شابه ذلك، ويجد كل منهما مع الآخر في ألفة ومحبة.

وإذا قرأت في سيرة الإمام المظلوم-هكذا أطلق عليه دائمًا- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث تجده رحمه الله رفيقًا بمخالفيه محبًا لهم، وحكى مثل ذلك عنه تلاميذه مثل ابن القيم، وابن عبد الهادي، والبزار، وغيرهم كثير.

لكن كونك تختلف مع أخيك فتبرز الولاء والبراء في مسائل لا يكون هذا مناسبًا لها، هذا ابتداع في دين الله تعالى لم يكن عليه سلف الأمة.

وبهذا تكون جمّدت مرنًا وضيقت واسعًا على عباد الله تعالى، فللأسف نرى صغارًا ممن ينتسبون للعلم يفعلون ذلك كثيرًا، مسائل سائغ فيها الخلاف ومقبول فيها، ووسّع أئمة كبار من قبل في سلفنا الصالح، ويشأ الآن عليها الصغار الولاء والبراء.

ولهذا وجدنا في مقدمات كتب الخلاف قوله تكررت كثيرًا: مراعاة الخلاف مسلك العلماء.

فاحرص- إن لم تكن منهم- أن تكون ممن يلحقون بدربهم، ونستطيع أن نجزم بأن كل مَن لم يسلك مسلك أهل العلم سلفًا في هذا العلم يُساعد على انتشار الآثار السلبية التي تنبع من الخلاف، والتي منها:

ضعف الأمة في جميع جوانبها العقدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسلوكية، ونشاهد هذا كثيرًا الآن في غالب بلاد المسلمين.

مما يُساعد إلى تفرُق هذه الأمة الواحدة، والتي الأصل فيها أن تكون في دولة واحدة- إلى دويلات كل منها زعيم، والى طوائف وأحزاب لكل منها رئيس، تختص كل مجموعة بأرض وسياسية وتنتهج غير إسلامي تقريبًا، إلا من رحم ربي.

ثم يجر ذلك إلى استهداف المسلمين في عقائدهم وثوابتهم الدينية، فيتكلم اللطع ابن اللطع في أمور تهتز لها الجبال ولا يتحرك لساكن رمش عين.

وينتج من ذلك الموالاة لأعداء الله تعالى وأعداء دينه داخل المجتمع المسلم، مما يُسهل على الأعداء التخطيط لضرب الأمة وضرب دينها.

ومن الآثار السلبية أيضًا عند عدم مراعاة الخلاف: إشاعة المفاهيم الخاطئة عن دين الله تعالى وعن أهله، كما ذكرت آنفًا قولي عن شيخ الإسلام بأنه: الإمام المظلوم.

نقلنا عنه أقوالاً لم نفهمها تارة، أو اجتزأناها تارة أخرى؛ ففيها من يسمعها منا على غير مراد شيخ الإسلام، وفي النهاية يقول شيخ الإسلام، يقول: «فظلم الإسلام ظلمًا بينًا»، فلا يكاد يفهم كلامه إلا قلة، ومن الآثار السلبية عن وجود كل هذا نجد الإتاحة التامة لأصحاب الرذيلة في إشاعة بضاعتهم في المسلمين؛ لا يوجد مَن يتصدى لهم، أو من يتصدى لهم شغل نفسه بالرد على أخيه وتبديعه وتفسيقه، وترك أهل الانحلال على ما هم عليه، ومَن تمسك زورًا وبهتانًا بدين الله منهم بدأ في إثارة الشعوب على حكامهم لزيادة البلبلة وعدم الاستقرار، وبثّ روح التمرُد في كل شرائح المجتمع؛ الابن ضد أبيه، والزوجة ضد زوجها، والأقلية ضد الأكثرية، وإثارة الفتن والطائفية في المجتمع، واختلاف الناس على علمائهم.. إلخ.

فلا بد أيها القارئ أن نلتفت إلى هذا الأمر جيدًا، ونستمسك بديننا ونفهمه فهمًا صحيحًا، كما فهمه صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم جميعًا، حتى ننجوا من هلاك محقق ببعدنا عن هذا المنهج القويم. إلي لقاء قادم إن شاء الله.

ضوابط التعامل مع المخالف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

كما وعدناكم أيها القراء الكرام، هذا آخر محور في منظومة الخلاف، وفي الترتيب كان قبل الأخير، وذكرنا علة تأخيره في المقال السابق حتى يكون آخر ما يَستقر في الأذهان من منظومة الخلاف.

إعداد: ا.د. أحمد منصور سبالك

وهذا المحور بعنوان: ضوابط التعامل مع المخالف.

فهناك ضوابط كثيرة سأجمل الحديث عنها للإيضاح فقط، وإلا فهي تحتاج لمزيد بسط للبيان، فأذكر هذه الضوابط وأقول:

الضابط الأول: وجوب تصحيح النية:

فيجب على مَن يدخل في الخلاف أن يجعل نيته لنصرة الحق، سواءً أكان معه أم مع مَن يخالفه، ويصحِّح النية على هذا.

الضابط الثاني: الحذر من تزكية النفس والانتصار لها:

فلا بد له أن يُوطِّن نفسه لقبول الحق، ولا ينتصر لنفسه في الباطل، ولنا أسوة حسنة في الصدِّيق أبي بكر رضي الله عنه، لما أقسم بأن لا يُنفق على رجل تكلَّم في الإفك، فأنزل الله تعالى: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ» (النور:٢٢)، فقال الصدِّيق: "والله لأنفقَ ضعفي ما كنت أنفق عليه".

الضابط الثالث: التعامل مع الخلاف على أنه أمرٌ طبيعي في البشر:

فمن طبيعة البشر الخلاف، وذلك لمراعاة القدرات العقلية، فطالما العقول متفاوتة، فما تدركه العقول تتفاوت أيضًا.

الضابط الرابع: لا إنكار في مسائل الاجتهاد:

يجب العلم بأن مسائل الخلاف التي يجوز فيها لا يُنكَر على المخالف فيها، وذلك مراعاة لأسباب الخلاف.

الضابط الخامس: البعد عن الحوار المُعلَن عند الخلاف:

لا بد أن نبعد عن العلن في الخلاف؛ لأنه ليس للمناظرة، للحذر من التجاوز في الرد أو النقد أو الحوار في العموم.

الضابط السادس: التعامل مع الظاهر في الخلاف للمخالف:

فيجب التعامل مع ظاهر المخالف وليس باطنه، ولا تأخذ بلازم قوله وتبني عليه فتكون قاضيًا وجلادًا.

الضابط السابع: إنصاف المخالف أمرٌ واجب:

يجب إنصاف المخالف واحترام قوله، وعدم التنقص منه في الخلاف؛ لكي يصل الخلاف إلى ثمرته المرجوة.

الضابط الثامن: لا يتسرع المخالف في إصدار حكمه:

ألا يصدر الحكم على المخالف إلا بعد الاستقراء، والتأكد من حيثيات الحكم.

الضابط التاسع: العلم بأنَّ المجتهد المخطئ مأجور:

لا بد من اعتقاد أن أصحاب الخلاف من أهل الاجتهاد، وأنهم مأجورون في اجتهادهم سواء أصابوا فيه أو أخطأوا.

الضابط العاشر: عدم نصب العداء للمخطئ في الخلاف:

لا تنصب العداء لمن أخطأ، فهو مأجورٌ في خطئه، كما ذكرنا آنفًا، ولا نحب أن يُخطئ حتى ننتصر للنفس.

الضابط الحادي عشر: عدم تنزيل كلام الخلاف منزلة الشرع:

فلا نعتبر كلام الخلاف نصوصًا شرعية، ولا فهمه الذي وصل إليه، وعدم صبغه مسائل الخلاف التي نتجت من طبيعتنا البشرية بصبغة الشرع المنزل.

الضابط الثاني عشر: لا تتعصب لأقوال أهل العلم في الخلاف:

عدم التعصب لأقوال العلماء؛ لأنهم يخطئون ويصيبون.

الضابط الثالث عشر: الحرص على وحدة المسلمين وجماعتهم:

في الخلاف يكون الحرص كل الحرص من المختلفين على وحدة المسلمين، فهي أولى من الشقاق والتنافر.

الضابط الرابع عشر: العدل في الخلاف:

يجب الإقرار بصحة قول المخالف إذا وصلنا إلى ذلك؛ لأن العدل هو الميزان الأساس لنجاح منظومة الخلاف.

أيها القارئ الكريم:

هذه بعض الضوابط، أجملت فيها الكلام على بيان كيفية التعامل مع المخالف، وقد ذكرت في مقدمة الكلام أن الضوابط تحتاج لمزيد بسط أكثر من هذا، والمقام لا يتسع له.

وأختم منظومة الخلاف بوصية لمن يريد أن يدخل فيها، عليه:

أن يفهم الخلاف جيدًا، وأن يعلم دليل المخالف دون النظر في مدى صلاحيته لديه، وأن يعلم جيدًا حكم المخالف على ما استدل به، وأن يرجّح بين الدليلين بالضوابط التي ذكرناها.

وليحقق ما ذكرت عن شيخ الإسلام عند كلامه عن الموازنات الشرعية: «ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين».

وأنشد قائلاً:

إن اللبيب إذا بدا من جسمه
مضران مختلفان داوى الأخطرا

جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

ضوابط التعامل مع المخالف

إعداد أ.د. أحمد منصور سبالك

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ: أيها القارئ الكريم: أسعد الله تعالى أوقاتكم بكل خير، وجعل كل أيام السنة أعيادًا تمر عليكم في شتى بقاع الأرض بخير وفضل وسلام.

فقد مرّ بنا موقف عظيم وهو وقفة عرفات وما يلحق بها، قبلها وبعدها، ومن المعلوم والمقرر أن في مثل هذه الأحكام يكون ثمة أحكام خاصة بهذه الأيام، ومن المعلوم أيضًا أن هذه الأيام خاصة يكثر الجدال بين الناس لا سيما والذين هم في المناسك.

كنا نستغرب قديمًا لقول الله تعالى: «وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ» (البقرة: ١٩٧)، كيف يكون الإنسان في الحج ويُكثر من الجدال؟!

إلى أن أنعم الله علينا بالحج فلمسنا بأنفسنا هذا الجدال في هذه البقاع المباركة، وفي هذه الأيام الطيبة.

والسؤال القائم: من يحسم هذا الجدال؟

لما وقفت مع هذا السؤال في الوقت الذي ما زلنا نتحدث فيه عن الفكر الإسلامي ومساحته المسموح بها شرعًا، وقع اختيارنا على موضوع جديد نستهل به هذا العام الهجري الجديد، عسى أن يكون إضافة جديدة للفكر الإسلامي ومساحته المشروعة.

وبالأخص لما رجعت للسؤال السابق، وأردت أن أجيب عليه، بعد وقوفنا معه طويلاً، قلتُ: لا بد من عقل ذا مرجعية أصيلة، وصاحب ديانة وورع أيضًا يستطيع أن يكون عنده الحل لهذا الجدال، ثم رجعت أفكر في صفات هذا العقل وكينونته.

ولهذا وقع الاختيار على أن أتحدث عن:

العقول الفقهية ووظائفها

من هذا الحديث نقف على أنواع هذه العقول، ووظيفة كل نوع منها، وما العقل الذي يكون عنده حل الجدل في مسائل الحج؟ وما العقل الذي لا يستطيع ذلك؟

وكذلك الأمر في باقي المسائل أيضًا التي تعرض للمسلم في حياته.

فلا بد من التعرف على العقل، هذا لسهولة الوصول إليه، وأبدأ في هذه المقالة بمقدمة واجبة للتوضيح؛ لتكون بمثابة المقبلات لما يُذكر بعد ذلك.

فأقول:

قال ابن قدامة في مقدمة روضته: «واعلم أن مدارك اليقين تنحصر بين الحد، والبرهان» كلمات جامعة مانعة فيها ما نريد، فالمدارك كلمة جمع مفردها مدرك، والمدارك هي الطرق والوسائل والآليات- وما في معنى هذه الألفاظ- التي بها يُحصَّل اليقين، واليقين يصل إليه المرء عندما تضطر النفس أن تُصدِّق ما وصل إليه.

هذه الوسائل محصورة بين «الحد»، وهو بيان ما أُريد أن أصل إليه، في إثبات هذا الأمر.

معنى هذا أن: ما يريد إدراكه المرء لا بد أن يعلمه حتى يصل إلى إدراكه والعلم به يقينًا، ومعلوم أن من آليات الإدراك بل أعظمها قدرًا وأولها منزلة: العقل.

والعقل: هو رباط الأمر وكلمته، تقول: عقلت الأمر؛ أي ربطته وكلمته في ربطه.

والعاقل: من يدرك ويميز بهذه الآلة التي أعطاه الله إياها.

واختلف العلماء في مكان العقل في جسم الإنسان بين من قال إنه في الصدر، ومن قال إنه في الرأس، والأول أصح؛ لقوله تعالى في الحج: « أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ » (الحج: ٤٦).

ولما جعل الله تعالى العقل هو مناط التكليف، لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه، فأعطى الله تعالى جل في علاه العقل للإنسان ليكرمه على باقي المخلوقات، وجعله مناطًا للتكليف وأساسًا له.

ومما لا بد من ذكره هنا أن نعلم أن هذه العقول متفاوتة، فيمكن لعقل أن يدرك أمرًا لا يدركه العقل الآخر، والعكس، ولهذا كان الاختلاف فيه سُنَّة كونية بين الناس.

فإدراك العقول تتفاوت بين عقل وآخر، فالعقول ليست متساوية في الفهم والإدراك.

طبيعي أن ما أدركه أنا لا تدركه أنت، والعكس، هذا يجعلنا نقر بأن هناك مجموعة من العقول اختصها الله تعالى بعلم دون عقول أخرى.

فمثلاً: هناك عقول اختصها الله تعالى بإدراك علم الطب.

وهناك عقول اختصها الله تعالى بإدراك علم الكيمياء.

وهناك عقول اختصها بإدراك علم الفيزياء.

وهناك عقول اختصها الله تعالى بإدراك علوم أخرى ولم يختص بها غيرها.

أليس كذلك؟ بلى.

ولهذا قال الله تعالى في كتابه: « فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (النحل: ٤٣).

ولهذا نُقرّ بأن الله جعل عقول معينة اختصها بعلم دينه وفقهه وشريعته، ولم يختص بها غيرهم من العقول.

ولذا قال الله تعالى: «فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ» (التوبة: ١٢٢)، فاختص الله تعالى جل شأنه جماعة وطائفة من المسلمين بإدراك هذا العلم وتعلمه وتعليمه لباقي الناس.

ومن هنا وجب علينا بيان هذه العقول ووظيفة كل عقل منها لندرك محل كل عقل أين يكون.

وأبدأ معك أيها القارئ الكريم في المرة القادمة ببيان أول هذه العقول ووظيفته.

أتركك في رعاية الله وأمنه، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عزاء واجب

بعد صراع مع المرض مرَّ كمرور الرياح المتسارعة، فارق دنيانا أخٌ وصديقٌ عزيزٌ الدكتور/ يوسف محمود صالح، قرية التفتيش الملكي بأنشاص الرمل، شرقية.

فاللهم اغفر له وارحمه ووسع له في قبره، واجعل الفردوس الأعلى من الجنة مثواه، وبارك في ذريته، وعوضنا عن فقده خيرًا، ولا نقول إلاَّ ما يرضي ربنا وانا لله وإنا إليه راجعون، والبقاء والدوام لله.

رئيس ومدير تحرير مجلة التوحيد وأسرة المجلة

عزاء واجب

انتقل إلى رحمة الله- بإذنه تعالى- الأخ حمدي السيد محمد عمر، رئيس جمعية أنصار السنة المحمدية، بقرية طناح بالمنصورة، فاللهم اغفر له وارحمه، وتجاوز عن سيئاته، وأدخله الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين، والبقاء والدوام لله.

العقول الفقهية ووظائفها

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

أيها القارئ الكريم... تكلمنا في المقال السابق حول مقدمة لما اخترنا أن يكون موضوعنا في بضع مقالات، واخترنا عنوانًا لهذه المقالات: «العقول الفقهية ووظائفها».

وسنتكلم في هذه المقالة عن الفرع الأول من هذه العقول، وهو: العقل الناقد.

والناقد في اللغة العربية: من نقد الشيء، أي بين حُسنه ورديئه، وأظهر عيوبه ومحاسنه.

والمقصود بوضعه ضمن العقول الفقهية ليعلم القراء أن العقل الناقد: لا يقبل الآراء أو يرفضها، وعند القبول أو الرفض لا بد أن يستطيع بيان الأسباب التي من أجلها قَبِل الرأي أو رفضه.

إعداد: د. أحمد سبالك

وهنا سؤال يفرض علينا نفسه: هل العقل الناقد يتوفر عند الكل؟

وأقصد بالكل: أي كل من يتحدث في الفقه والشرع.

لأنه- للأسف- الفترة التي نعيش فيها الآن الكل يقع تحت قول الشاعر:

الكل يدعي وصلاً لليلى

وليلى لا تقر لهم بذاك

ولهذا وضع أهل العلم معايير لهذا النقد، بحيث يصل إلى ما يريد، فمن وجد نفسه يمتلك هذه المعاير، يحق له أن يكون صاحب عقل ناقد.

هذه المعايير يسميها أهل العلم- الفقهاء-:

أصول النقد وقواعده عند الفقهاء:

أولاً: النصوص (القرآن الكريم- السنة النبوية):

أول معايير النقد وأصوله امتلاك النصوص والعلم بها، والعلم بالاستدلال عن طريقها، وما يصح منها في الدلالة، وما لا يصح، ولذلك اختلف أهل العلم، في مقدار ما يكون من هذه النصوص عند الفقيه صاحب العقل الناقد، فقال بعضهم: القرآن والكتب الستة مع الموطأ، وهذا مذهب المغاربة، وقال بعضهم: أقل ما يقال آيات الأحكام مع أحاديثه في الكتب الستة والموطأ، وهذا مذهب المشارقة مع العراقيين.

وكل هذا لأنه لا يتصور فقيه ناقد يُبين الحسن من الرديء من الآراء، والمقبول منها والمردود، وليس عنده قدر من النصوص يحكم من خلالها على تلك الآراء ويقبل ويرفض بها.

ثانيًا: مواقف الصحابة رضي الله عنهم:

أي مواقف الصحابة من هذه الآيات، وكيف تعاملوا معها ومتى ولمن وبماذا وكيف وأين؟ أفتوا واستدلوا بهذه النصوص؟

لأنهم أعلم الناس باللغة العربية التي تؤهلهم لفهم النصوص على علمهم بمقاصد تنزيل القرآن وأسباب ورود السنة؛ ففتاويهم نماذج يصح للعقل الناقد السير على دربها فتكون بمثابة الدربة لتكوين الملكة الفقهية التي تعيهم الفقيه الناقد على عمله.

ثالثًا: القواعد الكلية:

وهي التي تعين الفقيه الناقد في جميع جزئيات كثيرة في قاعدة عامة تسمى: «كلية».

لكي يفتي وكأن هذه الجزئيات تجري بين عينيه في صورة هذه القاعدة الكلية.

رابعًا: جواز خطأ المجتهد:

من هذه المعايير اعتقاد أن المجتهد يجوز عليه الخطأ؛ لأنه ليس معصومًا من الخطأ.

فحين يعتقد ذلك يستطيع أن يضع رأي هذا المجتهد في ميزان النقد بهذه المعايير، ولا يفرض له العصمة في الرأي.

خامسًا: بناء الأحكام على الظن:

وهذا هو المعيار الخامس والأخير، وهو العلم بأن غالب أحكام الشريعة تُبْنَى على الظن لا اليقين.

ولقد وضحنا في مقال سابق أنواع الأحكام في الشرع، وأن غالبها يُبْنَى على الظن، مما يجعلها قابلة أن توضع في ميزان النقد لبيان صوابها من غيره.

هذه هي معايير أو أصول النقد أو قواعده عند الفقهاء، والتي بها يستطيع صاحب العقل الناقد أن يفقد الآراء ويبين صوابها من عدمه.

ثم يأتي دور السؤال الذي يفرض علينا نفسه بعد ذكر هذه المعايير والأصول والقواعد:

ما الذي يتم نقده بهذه المعايير؟

ومعنى السؤال أن هناك أكثر من اتجاه للنقد، فما هي اتجاهات النقد عند الفقهاء؟

أبرز الفقهاء للنقد اتجاهات في الفكر الفقهي، وهي:

الاتجاه الأول: نقد الأحكام والفتاوى:

من المقرر أن الفقيه يتَّجه إلى ناحية معينة لينقدها ويظهر صوابها من عدمه، ومن هذه الاتجاهات:

نقد الأحكام والفتاوى:

فقد يرى الفقيه أن الحكم أو الفتوى لا تصلح فيمكن أن يصح النقد ويظهر أن الحكم غير صحيح أو الفتوى غير صحيحة؟ فينبأ بالمعايير السابقة بيان ذلك.

الاتجاه الثاني: نقد التأصيل والتقعيد:

وهذا اتجاه ثانٍ في النقد، يتجه فيه الفقيه إلى الأصول والقواعد التي نشأ عليها واستدل بها أصحاب الرأي المراد نقده؛ فينظر فيه ويصوب طرق الاستدلال من الأصول والقواعد

الاتجاه الثالث: نقد أسلوب الحكم وأسلوب الفتوى:

من المعلوم عند الأصوليين أن الفتوى إزالة إشكال عند المستفتي عن طريق المفتي. فمتى كانت الفتوى ستزيد من هذه الإشكالية عند المستفتي، فإن رأي الفقيه الناقد أن المفتي أخطأ وإن أصاب في فتواه.

الاتجاه الرابع: نقد الواقع البشري:

من المقرر أن الواقع يغير كلام المفتي، فإن كانت الفتوى غير ملائمة للواقع فإن الفقيه الناقد يضطر إلى نقد المفتي، وإن كانت فتواه تلائم واقعاً آخر.

الاتجاه الخامس: نقد الاستدلال:

الاستدلال: طلب الدلالة أو الحكم أو الفتوى؛ فإن سلك طريقًا في الاجتهاد لطلب الدلالة على استخراج حكم أو فتوى غير صحيح، هذا يجعل الفقيه الناقد أن يضع هذا في ميزان النقد لتصويبه.

الاتجاه السادس: نقد طرائق التدوين الفقهي:

مما هو معروف أن لطرق التدوين آلية حفظ المدوّن، فإن دُوِّنَ فقيه بطريقة لا تُستغل من بعده ولا يُستفاد منها، فهذا يجعل الناقد يصوب هذا الأمر.

الاتجاه السابع: نقد المؤهلات والصفات لدى الفقيه:

فإذا دخل فقيه في دائرة أحكام غير مؤهل لدخوله فيها؛ بأن كانت صفاته وآلياته لا تؤهله أن يجتهد في هذا، كفقيه مجتهد نسبي في مذهب معين، وبدأ يقارن بين مذهبه والمذاهب الأخرى دون علمه بأصول المذاهب الأخرى وقواعدها، هذا يجعل الفقيه الناقد يفقد مؤهلات وصفات هذا الفقيه، ويوضح أنه غير مؤهل لدخوله في مثل هذا.

فهذه هي اتجاهات النقد عند الفقهاء قديمًا، ولمراعاة هذه الاتجاهات في الدراسات المعاصرة لا بد من الآتي:

أولًا: دراسة المذاهب الفقهية بلا تعصُّب.

ثانيًا: وضع أسس وقواعد لتدريس النقد الفقهي في مناهج التعليم لطلبة العلم الشرعي.

ثالثًا: التدرج العلمي التعليمي للفقه؛ لإتقانه إتقانًا جيدًا.

رابعًا: توجيه الطلاب لعمل بحوث علمية أكاديمية.

خامسًا: الحث على الاطلاع على أبحاث المجامع الفقهية ولجان الفتاوى ولجان التقييم للأبحاث الفقهية.

هذا، وقد وصلنا إلى نهاية الحديث عن العقل الفقهي الناقد ووظيفته، وبعض التوجيهات لتفعيله في الوقت الحاضر، ولعلنا نلتقي في الحديث عن عقل فقهي آخر، بإذن الله.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

الحلقة الثانية

العقول الفقهية ووظيفتها

إعداد: د/ أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

أيها القارئ الكريم:

موعدنا اليوم مع العقل الثاني من العقول الفقهية ووظيفته، وعقل مقالة اليوم هو: العقل المخالف.

وهذا العقل ليس هو من يُخالف من أجل الخلاف وحسب، لكن هو صاحب الخلاف المعتدّ به، وميزان اعتباره هو وضوحه في منظومة الخلاف، بل وقبول هذه المنظومة له.

ولهذا يلزم صاحب هذا العقل دخوله في آخر منظومة الخلاف الأربعة، والتي هي:

أولاً: متى نختلف؟

ثانيًا: كيف نختلف؟

ثالثًا: ما موقفنا من القول المخالف؟

رابعًا: ما موقفنا من صاحب القول المخالف؟

ثم بعد ذلك نقبل صاحب هذا العقل وبضوابطه وقواعد الخلاف المعروفة عند أهل العلم، وتعتبر هذه الضوابط هي الأصل في عمل (العقل المخالف) وبيان وظيفته، فلا بد أن يعلم أن المجتهد مأجور، رغم الملام عليه، وهذه أول هذه الضوابط.

مع العلم بأن المجتهد نوعان؛ مجتهد مطلق: يجمع الأحاديث والآثار مع القرآن الكريم، ويعلم اللغة العربية وعلومها، ويرتب الأدلة من حيث حجتها ترتيبًا موافقًا لقواعد أهل العلم في ذلك، ويعلم التخريجات المذهبية، والتي تُبْنَى فيها الفروع على القواعد الأصلية في المذهب.

ومجتهد نسبي يجمع السمات السابقة، لكن في المذهب الواحد، لا في المذاهب جُلّها.

وثاني هذه الضوابط أن يعلم صاحب هذا العقل أن خلافه هذا لا يكون حجة في إباحة ما فيه خلاف.

وثالثها أن يكون على علم بأنه ليس في الخلاف توسعة، بل التوسعة في الاجتهاد نفسه.

ورابعها: أن يقر بأن المقلد ليس له الخيار في الخلاف، وإلا أصبح مجتهدًا.

وخامسها: أن يعتقد أن لا إفتاء بالقولين، أو بالأقوال التي قام عليها الخلاف، وينبغي الإفتاء بالقول الراجح لدى المفتي من بين تلك الأقوال.

وسادسها: أن يعتقد يقينًا أنه ليس كل خلاف معتبرًا، كالخلاف الذي يرجح فيه المخالف، وكالخلاف الذي يمكن فيه الجمع بين المتعارضين، وكالخلاف اللفظي الذي لا أثر له، أو كالخلاف الذي له عذر.

أو كالخلاف الذي يرجع إلى تغيُّر الزمان أو المكان أو الشخص أو العرف والعادة، أو كالخلاف الذي لا يتوارد فيه القولان المختلفان أو الأقوال المختلفة على محل واحد، أو خلاف نتج عن تخريج مذهب أصله الاجتهاد أصاب فيه المجتهد أو قصر فيه وأخطأ، أو خلاف غير أهل الاختصاص كغير الفقهاء مثلاً، أو خلاف الفقيه الواحد، أو خلاف حرية رأي.

فكل هذا الخلاف لا اعتبار له في الميزان الفقهي؟ فمتى اختلف فيه واحد لا يعتبر من أصحاب العقول التي نطلق على إحدى صاحب عقل مخالف.

وسادس هذه الضوابط: ترك الخلاف في المقطوع فيه.

وسابعها: لا اعتبار بخلاف أهل الأهواء.

وثامنها: لا عبرة بخلاف سببه عارض.

وتاسعها: لا بد من أمر يَضع أعذار الفقهاء محل اعتبار في الخلاف.

وعاشرها: لا يُعتبر بخلاف لم يَقُو مَدَركهُ.

والحادي عشر: ألا ينكر على المختلف فيه.

والثاني عشر: أن يعتقد أن حكم الحاكم يرفع الخلاف.

والثالث عشر: أن يعلم أن الاجتهاد لا يُنقض بمثله.

والرابع عشر: أن تكون عنده العصمة للأمة لا للأئمة.

الخامس عشر: أن يتعامل بأدب الخلاف.

وآخرها: أن يعتقد أن استحباب الخروج من الخلاف من الدين.

بهذه الضوابط وبغيرها يكون صاحب العقل المخالف معتبرًا في كونه عقلاً مخالفًا، وفي دخوله منظومة الخلاف، وقبوله على منضدة الخلاف.

فالتجرد للحق حق، والرجوع للحق عند الخلاف-لما يعلم صاحب هذا العقل أن الحق مع من يختلف معه أيضًا- حق. والحمد لله رب العالمين.

العقل الثالث

إعداد: د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

وعدنا في مقالنا السابق أن يكون موعدنا في هذا المقال: الحديث عن العقل الثالث ووظيفته.

وقد اخترت لحديثنا في هذا المقال عن العقل المتعصب، وذلك لما نعايشه اليوم من الكثير الذين يدَّعُون أنهم أصحاب عقول غالبها تقع تحت العقل المتعصب.

والعقل المتعصب هو عقل جامد في الرأي، فلا مرونة عنده في تقبُّل غيره.

اتصف هذا النوع من العقول بصفات، من أهمها:

أولاً: وقوفه عند ظاهر اللفظ:

هذا، وقد يكون اللفظ يحمل في فحواه أمرًا غير الذي في ظاهره، إلا أنه يستمسك بظاهره دون النظر لفحواه.

ثانيًا: تمسكه بمذهب معين:

فيرى صحة المذهب الذي عليه دون الأخذ في الاعتبار أن هناك مذهب آخر قد يكون أصح منه، أو حتى يعطي نفسه فرصة للنظر في آراء غير مذهبه.

ثالثًا: غلق باب الاجتهاد:

بهذا التعصب ذهب بلسان حاله-وربما بلسانه مقاله- إلى أن لا اجتهاد بعد الرأي الذي عليه، فغلق باب الاجتهاد على مذهبه.

رابعًا: انطلاقه على مصادر ومراجع معينة:

نرى صاحب هذا العقل دائمًا يُحيل إلى مصادر معينة ومراجع محددة لديه، ليس له الرغبة في الحياد عنها والنظر إلى غيرها من المصادر والمراجع.

ودائمًا ما تكون هذه المراجع مختصرات، والاستمساك بها أدَّى إلى ترك الأصول لهذه الآراء، رغم العلم بأن المختصر معلوم عند أهل العلم يحتمل ويحتمل؛ لأن ألفاظه قليلة.

فهذه الصفات الغير حميدة وجب الاجتهاد في خروج هذا النوع من العقول من هذا التعصب المقيت، والجمود الذي يجعل صاحبه دائمًا ساكنًا في محل ثابت، لا يتحرك، وبالتالي لن يخرج من دائرة ما وضع نفسه فيه.

لذا لا بد من خروجه ليتفاعل مع

مجتمعه ويكون عقلاً فعالاً، وحتى يكون كذلك يجب عليه المرور بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى: العودة إلى أصول السلف في الدراسة والتعلم، مع العلم أنه لا بد أن يتعلم بنفس الطريقة التي تعلم بها سلفنا، على الأقل لأنها طريقة جُربت فأنتجت لنا علمًا وأفذاذ على مر الدهور.

فطريقة الدراسة والتعليم إن صحت صح التلقي، فتكون النتيجة سليمة صحيحة.

المرحلة الثانية: تيسير المصادر له وتذليل المصطلحات:

فلا بد لفتح أفق العقل لقبول مصادر ومراجع غير التي انغلق عليها وأقفل عقله عليها، فهذا الباب واسع، فمصادر الفقه مثلاً كل يوم فيها جديد.

ومن ثَمَّ تذليل مصطلحات هذه المراجع وهذه المصادر حتى يتسنَّى الفهم السليم، فكما يقول المنطقيون: تحديد المصطلح يضعف البرهان.

أي إذا حدد العقل المصطلح جيدًا، وتعلم مُراده، علم مبتغاه، ووصل إلى المطلوب لا محالة.

والعكس، إذا حدد المصطلح خطأً سيصل إلى نتيجة خاطئة، ولا طائل من ورائها، حتى إنه إذا استمسك بها كان متعصبًا على جهل ووصل إلى الجمود.

المرحلة الثالثة: البعد عما يُسمَّى بـ«فقه ظاهرية الدليل»:

أن البعد عما يكون ناتج من ظاهر الدليل؟ فكما ذكرنا قد يحتوي الدليل في مفهومه شيئًا آخر غير الذي في ظاهره، فإذا تمسك بظاهر الدليل فقَد كثيرًا من الفقه.

المرحلة الرابعة: فتح باب الاجتهاد بضوابطه الشرعية:

لا بد لهذا العقل أن يعلم أن باب الاجتهاد مفتوح، فلا يُغلقه، ويضع أمامه أن باب الاجتهاد مفتوح بضوابط في المجتهد وضوابط فيما يجتهد.

ففي المجتهد لا بد من توافر الآلية للاجتهاد، والتي يجمعها أهل العلم في: العلم بالقرآن وعلومه، والعلم بالسنة وعلومها، والعلم باللغة وعلومها، وهذا بإيجاز.

وفيما يجتهد فيه: أن تكون المسائل التي يجتهد فيها تقبل الاجتهاد، فلا تكون من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة أو من المسائل المجمع على حكم الشرع فيها.

فإن توفرت هذه الضوابط فباب الاجتهاد مفتوح بلا تعصب ولا جمود.

المرحلة الخامسة: تكوين الملكة الفقهية:

وهذه الملَكة لا تتوفر إلا إذا انفتح العقل الفقهي على المذاهب والآراء الفقهية، تلك الثروة الهائلة من الآراء والمذاهب التي تركها أئمتنا سلفًا، فما زلنا ننهل منها إلى الآن، وستكون حتى قيام الساعة.

فالانفتاح على هذه المذاهب والآراء تجعل العقل الفقهي يطوف عليها ويجمع بينها وينظر في أدلتها ودلالتها، ويبين الراجح من المرجوح منها.

المرحلة السادسة: دراسة المذاهب الفقهية جميعها بلا تعصب:

حتى تؤتي أكلها هذه الدراسة يشترط فيها أن لا تكون فيها تعصب، فالدراسة تكون بحيادية تامة، ينظر لها ولأدلتها ولدلالتها بإنصاف دون التعصب لرأي أو لصاحب رأي، وهذا الإنصاف سيؤدي بالعقل الفقهي إلى نتيجة سليمة صحيحة.

بهذا نصل بالعقل المتعصب إلى باب السلامة، ويخرج عن هذه الدائرة، ويكون من العقول السليمة التي تؤثر في مجتمعها.

ولهذا سيدور بنا الكلام في المقالة القادمة بإذن الله تعالى على العقل المؤثر والمتأثر.

فإلى لقاء قادم بإذن الله تعالى، سائلين المولى سبحانه أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

النوع الرابع من أنواع العقول الفقهية

العقل المؤثِّر والمتأثِّر

إعداد: د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعدُ:

فحسب ما وعدنا القارئ الكريم في مقالنا السابق، أننا سنتحدث في هذا المقال عن نوع جديد من أنواع العقول الفقهية، وهو النوع الرابع منها:

والعقل الرابع هو: العقل المؤثر والمتأثر:

وأقصد بهذا النوع الحديث عن العقل الذي يُؤثر إما في صاحبه أو في غيره، أي العقل ذو التأثير.

وهنا نجد سؤالاً: أين نجد هذا النوع من العقول الفقهية، وكيف نتعرف على وظيفته؟

هذا النوع من العقل مضبوط بأصول وقواعد وضوابط الشريعة الغراء، لا يحيد عنها ولا يبعد.

ومن الأمور التي أثرت في هذا العقل، وجعلته مؤثرًا في غيره:

الأمر الأول: ما يُساعد على تغيير الفتوى.

فهناك بعض الأمور تساعد الفقيه في تغيير فتواه، وهي: الزمان، والمكان، والعرف، والعادة، والأشخاص.

وهذه الأخيرة (الأشخاص) يدخل فيها أصحاب العقول بأنواعها.

الأمر الثاني: قواعد الإنكار على المخالفين:

هناك قاعدة عند أهل العلم أصل في هذا الأمر، وهي: لا إنكار في مسائل الخلاف.

ويُضاف في تفصيلات هذه القاعدة أيضًا: لا إنكار عندما يكون المخالف في أحد الخمسة التي مرت في الأمر الأول، فلا يُنكر تغيير الأحكام بتغير هذه الخمس.

الأمر الثالث: اعتبار النظريات الفقهية الخاصة المؤثرة: من المقرر عند العلماء أن من النظريات الفقهية خاصة بالتأثير، بل وتكون عاملاً أساسيًا في التأثير، وسأضرب مثالين لهذه النظريات كالتالي:

النظرية الأولى: نظرية الاستصحاب:

فالاستصحاب: هو الحكم بثبوت أمر في الزمان بناءً على ثبوته في الزمان الأول؟ وذلك لفقدان ما يصلح للتغيير، ولذلك الاستصحاب يكون للزمن الحاضر والماضي معًا.

وتأتي ترتيبًا على هذه القواعد الفقهية، مثل:

أ- اليقين لا يزول بالشك.

ب- الأصل بقاء ما كان على ما كان.

جـ- الأصل براءة الذمة.

د- الأصل العدم.

النظرية الثانية: نظرية اعتبار المآلات:

وفي هذه النظرية يكون النظر في المستقبل لا في الماضي.

وفي هذه النظرية أيضًا يقرر العلماء: النظر في مآلات الأفعال مُعتبر شرعًا، وذلك مبني على تقدير نتائج الأفعال والتصرفات، مثل: منع عمر رضي الله عنه الزواج من الكتابيات، وأمره لحذيفة (والي المدائن)، أن يُطلق زوجته الكتابية.

الأمر الرابع: الفقه التقديري والبُعد الزمني:

وهذا يُسمى عند البعض بفقه (الآرائيين)، وعرف على يد مدرسة أهل الرأي، وهو تقدير للحوادث وفرض وقوعها ثمّ إيجاد الحلول لها.

وهي ما تسمى في المذهبية الفقهية: (بالافتراضات المذهبية)، فقد روى صاحب تاريخ بغداد أن أبا حنيفة سأل قتادة لما نزل الكوفة: ماذا تقول في امرأة غاب عنها زوجها حتى ظنت أنه مات؟ ثم رجع بعد أن تزوجت، ماذا تقول في صداقها؟

سكت قتادة!! ثم قال: ويحك! أوقعت هذه المسألة؟ قال: لا. قال: فلم تسألوني عما لم يقع؟ قال أبو حنيفة: إنا نستعد للبلاء قبل وقوعه؛ فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه والخروج منه. اهـ.

وهذا فقه عالٍ من جانب عقل أعلى، وكيف لا؟! وهو فهم من قال فيه إمامنا مالك: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة، رحم الله علماءنا.

الأمر الخامس: التنظير الفقهي المستقبلي:

وهذا الأمر يعني وضع نظريات فقهية للفقه التقديري، وهو عامل أساسي في بيان هذا النوع من العقول الفقهية لا يدخل فيه إلا الكبار.

ومن أبرز من فعل ذلك إمام الحرمين الإمام الجويني في كتابه «الغياثي»، وتعرض فيه لقضايا في السياسة الشرعية، من أهمها على سبيل المثال:

أ- تقدير خلو الزمان عن الإمام، وتصور عدم وجود من تنطبق عليه صفات الإمام المعتبرة.

ب- تقدير خلو الزمان من المجتهدين المستقلين بالاجتهاد.

ج- تقدير خلو الزمان من المُفْتين ومن نقلة المذاهب، فماذا يكون مرجع المستفتين في أحكام الدين.

د- تقدير خلو الزمان عن العلم بأصول الشريعة.

وغيرها من التقديرات التي لامسها المكلف بعد ذلك فوجد حلاً لها في كتابه، رحم الله الكبار.

الأمر السادس: المكان والبيئة:

من المعلوم أن المكان والبيئة هما من الأسس التي تكوّن الشخصية، ولهذا يحتم على صاحب العقل أن يكون على إدراك تام بمكان وبيئة من سيجعله متأثرًا به حتى يكون صاحب تأثير، وبه يكون عقلاً مؤثرًا.

الأمر السابع: الشيخ والتلميذ:

فهذا الأمر يتصل بوضوح الصلة بين المتحدِّث والمتحدَّث له، وذلك لبيان مدى التأثير، وأين يقع؟!

فإذا علم الشيخ كونه شيخًا، فُرض عليه سمات معينة، وأوصاف لا ينبغي أن يحيد عنها. وإذا علم التلميذ أنه تلميذ، كان أيضًا له نصيب من أوصاف وسمات التلميذ.

وحينئذ يؤثر الشيخ في تلميذه بلا شك.

وعليه، فهذه بعض الأدوات التي نرى فيها هذا النوع من العقول ومدى تأثيره بالضبط، فإذا عقلنا هذا النوع، ينبغي لنا أن نتحدث عن عقل جديد، ونوع آخر من العقول الفقهية ووظيفته، ألا وهو النوع الخامس والأخير منها: العقل الباحث.

وهذا سيكون محور لقائنا القادم، بإذن الله تعالى، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

العقل الأخير: العقل الباحث

إعداد أ.د/ أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فموعدنا أيها القارئ الكريم مع العقل الخامس والأخير من سلسلة العقول الفقهية ووظائفها، فبعد أن تكلمنا عن العقل الناقد، ثم العقل المخالف، ثم العقل المتعصب، ثم العقل المؤثر والمتأثر، يبقى الحديث عن العقل الأخير وبيان وظيفته، ألا وهو: العقل الباحث.

وكلمة الباحث من البحث، وهو استقصاء جميع الآراء بأدلتها وبيان الراجح منها والمرجوح.

ولهذا نجد هذا العقل في الغوص في المصادر وصنعة الكتابة المعاصرة، وتجده-فيما يسمى عند الفقهاء- بالتجميع والتفريق، والذي يُعنى به علم الأشباه والنظائر، وعلم النظريات الفقهية، والقياسات وما يجري فيها، وجمع المسائل الفرعية المتعلقة بموضوع واحد، وجمع الكليات مع جزئياتها، والجزئيات مع كلياتها.

وذلك لتتم عملية الاستقراء في الجمع بالنسبة للبحث، أما التفريق فيكون بين المسائل الفرعية والأحكام الجزئية، وبين القواعد الفقهية والمعاني الجامعة، وبين ما يجوز وما لا يجوز من الاستحسان، وكذلك بين الاعتراضات الواردة على القياس، لا سيما والتي ترد على العلة (أصلية أم غير ذلك... إلخ).

وأيضًا تجد هذا العقل الباحث في تحديد المستثنى منه في الأحكام الشرعية، والمناظرات والجدال في الأصول والفروع التي لا تكون إلا لعقل باحث استقرأ تلك الأصول والفروع.

وأيضًا تجد هذا العقل الباحث في التوقف الفقهي الذي يدل على إنصاف الباحث لما لا يستطيع بما أوتي من آليات أن لا يصل إلى قول راجح وتتساوى عنده الآراء ودلالاتها فيتوقف في المسائل.

وأيضًا تجد هذا العقل الباحث حينما يُوفق بين الآراء وأدلتها، وهذا ما يُعرَف عند الفقهاء بـ«التوفيق الفقهي»، بشروطه وضوابطه المعلومة عند أهل العلم.

وتجده أيضًا عندما ينزل من مذهب معتمد في الدليل والدلالة إلى مذهب آخر-أيضًا- معتمد في دليله ودلالته، وهذا ما يُعرف عند أهل العلم بالتلقين الفقهي، والذي لا يقوم به إلا صاحب دين، وصاحب علم.

وأيضًا تجد هذا العقل الباحث في وسطية لآرائه الفقهية وموازنة دقيقة لا تلقينية مطلقة فيها، ولا توفيقية مطلقة أيضًا، بل وسطية فقهية متوازنة بشروط وضوابط أهل العلم المعتمدة عندهم.

وبالتالي تجد هذه الوسطية بين غلو وتشديد وشذوذ وبين تساهل في الآراء الفقهية التي يصل إليها، فلا تجده مُفرِطًا في آرائه ولا مُفرِّطًا فيها، بل في وسطية متوازنة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

وعليه تجد عمل هذا العقل الباحث في المجامع الفقهية، والهيئات العلمية البحثية التي تتصدر لعامة الأمة بالدراسات والأبحاث والفتاوى التي تحتاج إليها أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النوازل والمستجدات التي تنزل بها، والتي منها الاقتصادية ومنها الطبية، ومنها... إلخ.

فلا بد إذن أن يعمل فيها ويقوم عليها العقول البحثية التي تستطيع أن تخرج لنا حلاً لهذه المستجدات تسير عليها الأمة.

وفي نهاية الحديث عن العقول الفقهية ووظائفها، يجب أن تعلم أيها القارئ الكريم أنواع هذه العقول، مع وظيفة كل عقل منها، وما كان الحديث عن أنواع العقول إلا لبيان كيفية التعامل مع أصحابها؛ لأن كثيرًا ما نسأل: من نسأل؟ والمقصود: من نستفتي؟

فكما بيّنّا، لكل مسألة فقهية تعرض علينا أهلٌ لها، وأقصد بـ«أهل لها»، أي: عقل من هذه العقول التي تكلمت عنها.

فعلى المستفتي أن يحدد مسألته أولاً، ثم يُحدِّد العقل الذي يسأله من هذه العقول الفقهية.

وبهذا أكون قد وقفت على نهاية سلسلة: العقول الفقهية ووظائفها، سائلاً الحق تبارك وتعالى أن ينفع بها القارئ والكاتب، إنه نعم المولى ونعم النصير، وإلى سلسلة أخرى إن شاء الله تعالى، وصلّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

هدي النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان

إعداد: أ.د/ أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فمن المعلوم أن حال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الشهر الكريم المبارك يختلف عن حاله صلى الله عليه وسلم في غيره من الشهور؛ فقد كان حاله في هذا الشهر حالاً خاصًّا، أفضل وصف لهذه الحال: كان مليئًا بالطاعات والقربات؛ وذلك لعلم النبي صلى الله عليه وسلم بخصوصية هذا الشهر وهذه الأيام المباركة التي باركها الله تعالى وميَّزها عن سائر أشهر وأيام العام.

هذا مع أنه غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر صلى الله عليه وسلم، لكنه عودنا حبيبنا- صلوات الله وسلامه عليه- أنه أشد الأمة اجتهادًا في عبادة ربه وقيامه بحقه عليه، ولتعلم أمته من خلفه أنها أولى بهذا في اتباعه والتأسي به في هذه الأعمال بهذا الشهر المبارك.

وهذا السبب في اختياري أن أتكلم معكم في: هدي النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان.

ففي العبادات كان صلى الله عليه وسلم يكثر منها، فكان جبريل عليه السلام يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة، ورغم أنه أجود الناس إلا أنه أجود ما يكون في رمضان، يكثر من الصدقات والإحسان وتلاوة القرآن والذكر والدعاء والاعتكاف.

حتى أخذ أهل العلم ذلك سنة لهم في هذا الشهر الكريم يعتكف فيه الواحد منهم مع قرآنه مدارسة وتفسيرًا وتدبرًا وعملاً.

وكان صلى الله عليه وسلم يخصّ هذا الشهر المبارك شهر رمضان بما لا يخص به غيره من الشهور، حتى إنه واصل الصيام يومين أو ثلاثة ليتفرغ للعبادة، مع علمنا بأن الوصال في الصوم من الأفعال الخاصة به صلى الله عليه وسلم لا يجوز لنا التأسي فيها به؛ لأنه نهى أصحابه عن الوصال بقوله صلى الله عليه وسلم: «إني لستُ كهيئتكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني». كما في الصحيحين.

وكان صلى الله عليه وسلم أيضًا يحثّ على السحور، فصح عنه قوله صلى الله عليه وسلم: «تسحروا فإنَّ في السحور بركة».

وكان من هديه تعجيل الفطر، وتأخير السحور، ففي الأول ثبت في الصحيح: «لا يزال الناس بخير ما عجَّلوا الفطر». وكان صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات، فإن لم يجد فتمرات، فإن لم يجد حسا حسوات من ماء.

وأما سحوره صلى الله عليه وسلم فكان يؤخِّره حتى ما يكون بين سحوره وبين صلاة الفجر إلا وقت يسير قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية.

وكان يدعو عند فطره بخيري الدنيا والآخرة.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يترك العمل في رمضان، بل كان جهاده في أكبر معاركه التي قادها كانت في رمضان؛ كموقعة بدر، وفتح مكة، حتى سُمِّي رمضان بشهر الجهاد، فما كان يترك الصيام لكثرة عمل، أو ما شابه ذلك.

وكان صلى الله عليه وسلم يصوم في سفره تارة، ويفطر أخرى، وربما خيَّر أصحابه بين الأمرين.

وكان صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ليجتمع قلبه على ربه عز وجل.

وكان عمله في العشر الأواخر أي في الاعتكاف مختلفًا عما في باقي أيام الشهر، فإذا دخل العشر الأواخر أحيا ليله، وأيقظ أهله، وشد مئزره، واجتهد في العبادة أكثر مما كان قبل صلى الله عليه وسلم.

فهذا طرفٌ من هديه وطريقته في هذا الشهر الفضيل، وبيان لسنته.

فعلينا أخي الكريم أن نسدِّد ونقارب، ونجتهد في الاقتداء والاتباع؛ لأنه طريق الفلاح والصلاح، تقبل الله منا ومنكم الصيام والقيام، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

فقه الواقع: أصول وضوابط

إعداد أ. د/ أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

تقبل الله منا ومنكم أيها القراء الكرام، وأعاد علينا وعليكم وعلى المسلمين العيد أعوامًا عديدة بالخير واليمن والبركات.

ما زال الحديث مستمرًّا عن الفكر الإسلامي وعن أصوله ومجالاته وضوابطه وقواعده، وقد انتهينا من عرض سريع للعقول الفقهية ووظائفها، وها نحن نبدأ بسلسلة جديدة في الفكر الإسلامي، واخترت لهذه السلسلة عنوانًا:

«فقه الواقع: أصول وضوابط»

وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع بعون الله تعالى ومدده وحوله وقوته، وسنتكلم فيه في حلقاتنا القادمة حتى نصل بغلبة الظن إلى استيفاء كامل له.

وسبب اختيار هذا الموضوع النظر في واقع وحال المسلمين شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا.

ماذا عليه أن يفعل في هذا الحدث الذي وقع في واقعة ما، حتى يتحقق عنده صلاحية هذا الشرع الحنيف في كل زمان ومكان يكون فيه المكلف، ولا تكن عنده الشريعة قاصرة في وقت أو في مكان معين.

فهذه المراحل الأربعة تعيين الفقيه على معرفة الواقع وفقهه وإدراكه وإخراج الحكم فيه، على الترتيب كما ذكرنا.

وبإذن الله تعالى نتحدث المرة القادمة عن: كيفية الاستفادة من هذه المعرفة، وهي النقطة الثانية المنبثقة من تعريف «فقه الواقع».

سائلاً المولى سبحانه أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

فقه الواقع: أصول وضوابط

إعداد: د. أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ما يزال الحديث مستمرًّا عن: فقه الواقع: أصول وضوابط. وتناولنا في المقالة السابقة كيفية معرفة الواقع، وذلك من خلال أربع مراحل، هي:

- إدراك الواقع.
- وفهم ما أدركه الفقيه من الواقع.
- وتطبيق هذا الفهم على المعرفة الشرعية.
- ثم إخراج حكمٍ شرعيٍّ لهذا الواقع.

ولهذا سنتكلم عن النقطة الثانية في الضوابط التي ذكرناها في فقه الواقع، وهي:

- معرفة الواقع وفقهه وإدراكه.
- كيفية الاستفادة من هذه المعرفة.
- من يستفيد من هذه المعرفة.

فالنقطة الثانية هي: كيفية الاستفادة من معرفة الواقع:

فنقول وبالله التوفيق:

قد تكلم أهل العلم سلفًا في هذه النقطة، ووضعوا أصولاً وضوابط لبيانها. منها ما ذكره العلامة الشاطبي في موافقاته قائلاً: "النظر في مآلات الأفعال معتبرٌ ومقصودٌ شرعًا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، ويحكم المجتهد بمراعاة المآل بأصول منها: أولاً: المصلحة المرسلة. ثانيًا: سدّ الذرائع. ثالثًا: الاستحسان".

ويقول العلامة ابن القيم أيضًا في كتابه "الطرق الحكمية": لا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم: الأول: فهم الواقع والتفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتى يحيط به علمًا. الثاني: فهم الواجب في الواقع".

ومن الأمثلة التي أوردها العلاَّمة ابن القيم في أعلام الموقعين على هذا ما يلي:

- توصل شاهد يوسف عليه السلام بشقّ القميص من دُبُر إلى معرفة براءته وصدقه؛ كما في الآية.
- وتوصل سليمان عليه السلام إلى معرفة عين الأم بقوله: «ائتوني بالسكين حتى أشق الولد بينكما» (أخرجه البخاري).
- وتوصل عليّ رضي الله عنه للخطاب في قصة حاطب رضي الله عنه، عندما قال للمرأة التي حملته لما أنكرته: «لتُخرجن الكتاب أو لتُجَرِّدنك» (أخرجه البخاري).
- وتوصل الزبير رضي الله عنه بتعذيب أحد ابن أبي الحقيق بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى دلَّهم على كنز حُيي عندما ظهر كذبه في دعوى ذهابه بالإنفاق بقوله: «المال كثير، والعهد أقرب من ذلك» (أخرجه ابن حبان).
- وتوصل النعمان بن بشير رضي الله عنه بضرب المتهمين بالسرقة إلى ظهور المال المسروق عندهم، فإن ظهر وإلا ضُرِبَ مَن اتهمهم كما ضربهم، وأخبر أن هذا حكم

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولهذا فمن تأمل الشريعة الغراء وقضايا الصحابة التي قضوا فيها، وجدها كثيرة في ذلك، ومن سلك غير طريقهم هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسب هذا الضياع إلى الشرع، والشرع منه براء.

ولهذا فالحاكم إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات، ودلائل الحال، ومعرفة شواهده في القرائن الحالية والمقالية، كفقهه في كليات الأحكام، أضاع حقوقًا كثيرة على أصحابها، وحكم بما يعلم الناس بطلانه لا يشكون فيه، اعتمادًا منه على نوع ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وقرأ منه أحواله.

وقد ذكر ابن القيم في هذا نوعين من الفقه لا بد للحاكم منهما:

الأول: فقه في أحكام الحوادث الكلية.

الثاني: فقه في نفس الوقائع وأحوال الناس، يميز به بين الصادق والكاذب، وبين المحق والمبطل، ثم يطابق بين هذا وهذا، فيعلي حكمه ولا يجعله مخالفًا للواقع.

وبناءً على ما تقدم ذكره فإن معرفة الواقع تنقسم إلى قسمين:

الأول: طرق إدراك الواقع.

الثاني: طرق فهم للواقع بعد إدراكه، كقواعد الأصول والفقه المهيئة للواقع تهييئًا قريبًا للحكم عليه، سواء نزلت الحكم أم لا.

وبهذا يكون معنى كيفية الاستفادة؟ هو: معرفة طرق الفهم الشرعي للواقع بتوسط الإدراك له غالبًا، وطرق تحصيل العلم بثلاث معلومات:

الأول: ما يُعلم بالعقل.

الثاني: ما يُعلَم بالسمع.

الثالث: ما يُعلَم بالعقل والسمع، وهو ما يُعرَف بـ «الخبر».

أما الجزء الأخير في هذه القضية وهي المعينة بـ: «من المستفيد من فقه الواقع وشروطه» لا بد أن تستلزم ذكر شروط المستفيد من الواقع؛ ليتضح لنا كيفية الاستفادة على أكمل وجه.

ولقد اشترط العلماء في المستفيد شروطًا، وهي:

أولًا: الإسلام والعدالة.

ثانيًا: أن يكون صاحب فقه النفس.

ويعني بذلك شدة الفقه، والفهم بالمدرك؛ لأن ضعيف الإدراك لا يُؤخَذ منه نظر في الوقائع والأمور، وهذا ما يُعرَف بشرط «شدة القريحة».

ثالثًا: علمه بالكتاب والسنة والعلوم المتصلة بهما.

رابعًا: علمه بقواعد الشريعة ومسائل الإجماع.

خامسًا: علمه باللغة العربية وعلومها.

وعلى هذا لا يَنظر في الواقع إلا فقيهٌ؛ تتوفر فيه هذه الشروط التي ذكرناها على سبيل الإجمال، حتى يكون المستفيد على استطاعة تامة بأن يفيد في حكمه على الواقع، ولا يكون حكمه بعيدًا عن الواقع لا طائل من ورائه.

هذا، ونسأل الله جل وعلا أن ينفع بكم وبنا، ويجعلنا من العالمين العاملين بما نعلم جميعًا.

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلّ اللهم وسلّم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفكر الإسلامي

إعداد/ د. أحمد منصور سبالك

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

هل يجوز الفكر في الثوابت؟!

ستجد من يقول لك: التفكير فريضة قرآنية تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من وظائف، بجميع خصائصها ومدلولاتها، فالقرآن يخاطب العقل المدرك، العقل الحكيم، والعقل الرشيد.

بل وستجد من يزيدك فلسفة، ويقول: إنك ذكرت في مقالك السابق قوله تعالى: «وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (النحل:٤٤). ويزيدك فلسفة ويُفسِّر الآية بقوله: التفكير في الكتاب والسنة.

فأقول: لا جرم أن التفكير فريضة في الإسلام، فهذا من المسلمات، لكن أين يقع الفكر؟

أذكرك بأن للفكر مصادر يستطيع الإنسان من خلالها أن يجعل آلية الفكر منبعها هذه المصادر وعليه تكون صلة الآية: «أفلا يتفكرون» بالقرآن وبالسنة.

والباء هنا للمصاحبة أي: التفكير يكون بمصاحبة القرآن وبمصاحبة السنة وليست الباء هنا بمعنى في؛ فيكون المعنى كما ذكر المتفلسف سابقًا، فلا مجال للتفكير في الوحي الشريف بين القبول والرفض.

ولهذا كان الخطاب التكرر في القرآن للعقل المدرك الذي يفهم ويقوم بعملية الوعي وهما أعمق من مجرد الإدراك فحسب.

فالعقل الإنساني وسيلة موصلة إلى الحق، ولو لم يكن كذلك لما احتفل به القرآن وذكره كثيرًا في آياته، وما كان هذا التكرار إلا تقديرًا للعقل.

وهذا الطريق الدقيق المسالك تحفُّ به جُملة من الأخطار تهدد تبعاته العقل عن إصابة الحق، فالإنسان خُلق عجولاً مما قد يُعرِّضه لتعجل المراحل في النظر العقلي.

فعندما يختار العقل مصادر وآليات غير صحيحة، بالتالي ستكون نتيجة إدراكه غير صحيحة.

وهنا أسئلة تفرض نفسها:

نسمع من كثير من الذين يُسمون بـ«المفكر الإسلامي»، ونجده ينكر السنة النبوية مثلاً، أو آيات من كتاب الله تعالى، وكل ذلك بدعوى الفكر، والتفكير فريضة قرآنية.

والعجب كل العجب أن يُقدح في القرآن بدعوى أن التفكير فريضة قرآنية.

أو أن نقدح في السنة النبوية بدعوى أن الدين هو من دعانا للتفكير.

فديننا يأمرنا بألا نضع الوحي الشريف، أو حتى ثوابت هذا الوحي مجالاً للفكر بين القبول والرفض، وسأمثل لك بمثال؛ لأنه بالمثال يتضح المقال:

اتفق العقلاء أن الأخلاق لها أصول، أصول للفضائل وأصول للرذائل، والأخلاق كلمة جمع مفردها (خُلق)، وهو الطابع الذي يخرج من الإنسان دون أن ينكر: أيخرجه أم لا؟!

بل واتفق علماء الأخلاق في الغرب أن المكان الذي يحدد لنا أصول الأخلاق من فضائل ورذائل هو مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، مما اعتبره كفار مكة قبل البعثة من أصول الفضائل أو أصول الرذائل فهو كذلك، ونبينا أعلن ذلك في حديثه- أيضًا-: «بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ولا يكون التمام إلا عند وجود الأصل التي تقوم عليه، وقال بعض شراح الحديث: الإتمام بمعنى الإقرار.

وبهذا ينعقد الاتفاق على أن الأخلاق الحميدة كالشجاعة والكرم.. إلخ، من الأخلاق الحميدة في شتى بقاع الأرض، فلن يخرج علينا من يفكر في ذلك أبدًا.

وكذلك الأخلاق السيئة أيضًا.

وأيضًا أيها القارئ الكريم لا يسوغ أن تضع باقي الثوابت من عقائد وأركان وقطعيات ومقاصد في ميزان الفكر، حيث القبول والرفض.

إن كان هذا في ثوابت الدين، فما بالكم مصادر هذه الثوابت؛ الوحي الشريف: القرآن الكريم، والسنة النبوية.

هل يسوغ لنا أن يكون الوحي مجالاً للفكر، رهن القبول والرفض؟!

هذا ما سنجيب عليه في مقالنا القادم بإذن الله تعالى، مع بيان كيف وضعوا الوحي الشريف مجالاً للفكر مع الرد عليهم.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

Upload by: altawhedmag.com